سمات منهج الشيخ المطعني في كتابه

"خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية"

إعداد

د/ نهى أحمد محمد عبد الرحمن

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

سمات منهج الشيخ المطعني في كتابه

"خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية"

نهى أحمد محمد عبد الرحمن
قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج
البريد الإلكتروني : nohaahmed@azhar.edu

الملخص

من المسلماتِ التي لا ريبَ فيها أن كلَّ دراسة علمية تروم تحقيقَ غاية محددة؛ ومن ثمَّ تستلزم معالجة خاصة وفق ضوابط وأسس وإجراءات تناسبها، حتى تكونَ بمنجاةٍ من العيوبِ والأخطاء؛ ويستوجب ذلك منهجًا مناسبًا يعين على تحقيقِ الغاية المنشودة، وقد اقتفى خطى هذا النهج الأستاذُ الدكتور/ **عبد العظيم إبراهيم المطعني** في مؤلفه الموسوم بـ "**خصائصِ التعبير القرآني وسماته البلاغية**" الذي طرقَ فيه منابع ثرية بوجوه الإعجاز، مميطًا اللثام عما تميَّز وتفرد به النظمُ المعجز وفق منهجٍ علمي دقيق التزمَ فيه بما يحقق ما يصبو إليه؛ ومن ثم اتَّسم بسماتٍ ميَّزته عن غيرِه، وأكسبته خصوصية ورفعة، فكُتب له حسن القبول؛ ولذا انصرفت الهمةُ إلى محاولةِ استجلاء تلك السمات التي زخر بها السفر المبارك، والتي كشفت عما كان يتمتعُ به الشيخ من مقدرةٍ لغوية، وحسٍ مرهفٍ، وذكاءٍ وفطنةٍ ورويةٍ، وملكةٍ إبداعية ونقدية، ومن جانب آخر اصطبغت تلك السمات بالتنوع والتدرج، فتجد منها: تجلي النزعة النفسية، والعناية بتحريك عقل المخاطب، والاستطراد، والتوسع في عرض القضايا، والدقة والوضوح، واعتماد الإجمال والتفصيل، والاتكاء على النظر الكلي، وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وجاءت في مقدمة وتمهيد وأحد عشر مبحثًا وخاتمة وفهارس فنية متنوعة، كما أسفرت عن العديد من النتائج منها:

ارتَّسم الشيخُ في تعامله مع كلامِ العلماء منهجًا متميزًا اعتمد فيه على تحري الدقة في النقل، والفقه الجيد لكلامهم؛ ومن ثمَّ التعقيب بما يوضح، أو يستنطق، أو يرد، أو يصحح، أو يستدرك، أو يقرر مادحًا ومشيدًا ومثنيًا على مَن يوافقه، ملتزمًا التأدب مع المخالف، مع تجنب الوقوف موقف الناقل دون أن يضع بصمته ناقدًا وموازنًا ومرجحًا.

أبت نفس الشيخُ أن يكتفي بما جادت به قرائح السابقين تأصيلًا وتطبيقًا، حيث كان شديدَ الحرص على الإدلاء بدلوه تدفعه رغبة ملحة إلى ترك بصمته، والإتيان بجديد، ومع ذلك كانت هناك بعض **الوقفات** التي ألمحت إلى مجانبة الشيخ التوفيق فيها.

وفي الختام توصي الدراسة بضرورةِ القراءةِ الواعية، والفقهِ الجيدِ لمؤلفاتِ العلماء الأثبات؛ لاستكناه ما تحويه من درر ولآلئ على المستويين النظري والتطبيقي، فضلًا عن الاحتذاءِ بمسلكهم.

كما توصي الدراسة بمحاولة استجلاء سمات منهج الشيخ المطعني في مؤلفاته التي تسير في فلك اتجاه معين كالدراسات القرآنية، أو البلاغية، أو الإسلامية.

الكلمات المفتاحية:

سمات – منهج – الشيخ المطعني – خصائص التعبير_ القرآن.

Features of Sheikh Al-Muta'ni's approach in his book "Characteristics of Quranic Expression and its Rhetorical Features"

Noha Ahmed Mohamed

Department of Rhetoric and Criticism at the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Sohag

Email : nohaahmed@azhar.edu

Abstract

It is an undoubted axiom that every scientific study aims to achieve a specific goal. Then, it adheres to special specifications according to controls and principles to suit them, so that it is free from defects and errors. This entails an appropriate approach that helps achieve the desired goal He followed in the footsteps of this professor, Dr. Abdel-Azim Ibrahim Al-Matma', in his book titled "Characteristics of Qur'anic Expression and Its Rhetorical Features," in which he explored rich sources of miraculous aspects, revealing what distinguished and uniquely distinguished miraculous systems according to a precise scientific approach in which he committed himself to doing what he aspires to. ; Then he was characterized by characteristics that distinguished him from others and gave him special character, so he was well accepted After that, the effort was devoted to trying to clarify those messages that were abundant in the blessed book, and

which distinguished the Sheikh in terms of good language and sensitive sense, intelligence, cleverness, and vision, and creative and critical ability. On the other hand, those features were colored by diversity and gradation, so you find among them: the manifestation of the psychological tendency, interest in moving the mind of the addressee, digression, and expansion in presenting details, accuracy and clarity, and relying on beauty and detail, and consistency on the overall view. The basic study of the analytical description began, and came in the introduction and a preface and eleven chapters .and a conclusion and various indexes

:The research reached many results, including

The Sheikh, in his dealings with the sayings of scholars, followed a special approach that was distinguished by his keenness on accuracy in transmission, and his culture in their sayings; he would comment with clarification, or by listening, or by not responding, or by correcting, or by adding, or by transmitting, or by praising, or by praising those who agreed with him, while adhering to politeness with those who disagreed, while avoiding taking the position of the transmitter without leaving his fingerprints as a critic, balancer, and .committed

The Sheikh's soul refused to be satisfied with what the minds of the predecessors produced in terms of foundation and

application, as he was very keen to express his opinion, and a strong desire drove him to leave his fingerprints, and to come out with something new, and yet there were some pauses that suggested deviation from the truth

The study recommends a conscious reading of the works of eminent scholars; to explore what they contain of pearls and gems on the theoretical and applied levels, in addition to celebrating their biographies

The study also refers to an attempt to clarify the characteristics of the approach followed by the Sheikh in his works, which he sees as revolving in the orbit of a specific .trend such as Quranic, rhetorical or Islamic studies

:Keywords

Characteristics, Methodology, Sheikh Al-Muta'ani, Holy Quran

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي رفعَ بالعلمِ أقواما، القائلِ في محكمِ التنزيلِ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ سورة المجادلة الآية (١١)، والصلاةُ والسلامُ على النبي العدنان الذي امتدحَ العلمَ فقال: "**إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ**"(١)، وعلى آلهِ، وصحبهِ، ومن اهتدى بهديهِ، واستَنَّ بسنتِه إلى يومِ الدينِ، ثم أما بعد...

فقد سخَّرَ اللهُ _تعالى_ لحفظِ كتابِه العزيزِ علماء أجلاء أخذوا على عاتقِهم العملَ على إبرازِ سموِّه وتفردِه لاسيما في الجانبِ البياني، فتعددَت وجهاتُهم، وتنوعت منازعُهم، كلٌّ يولي وجهَه شطرَ غايةٍ ينشدُها، فانصرفت همةُ بعضِهم إلى العنايةِ بإبرازِ وجوهِ الإعجازِ الصوتِي، ووضعَ آخرون نُصبَ أعينهم إجلاءَ وجوه الإعجازِ في اصطفاءِ المفردات (مادة وبنية)، وعكفَ فريقٌ ثالثٌ على سبرِ أغوارِ التراكيب، والغوصِ في أعماقِ دلالاتها، واستخراجِ ما تحويه من درررٍ ولآلئ، وانبرت طائفةٌ إلى استكناه وجوهِ التوافقِ والاختلافِ بين المواضعِ المتشابهةِ، أو وجوهِ التناسبِ بين أجزاءِ النظمِ الجزئِي والكلي، وقد فُرِق لبعضِهم، وفُتح عليه بالجمعِ بينَ أكثرِ من جهة، فتنوعت زوايا الرؤيةِ والمعالجة، وسلكَ هذا الدرب حديثًا الأستاذُ الدكتورُ/ **عبد العظيم إبراهيم المطعني** _رحمَه الله، وأحسنَ إليه_ في مؤلَفِه الموسومِ بـ "**خصائصِ التعبيرِ القرآني وسماتِه البلاغية**" الذي جادت قريحتُه بما فيه، وسطَّرته أناملُه لنيلِ درجة العالمية (الدكتوراه) في البلاغةِ والنقدِ من كليةِ اللغةِ العربيةِ جامعةِ الأزهر بالقاهرة عام ١٩٧٤م.

وطرقَ الشيخُ في سِفرِه المباركِ منابعَ ثرية بوجوه الإعجازِ اللفظيةِ والمعنويةِ في الصوتِ واللفظِ والتركيبِ والدلالةِ، مميطًا اللثام عما تميَّزَ وتفردَ به النظمُ المعجزُ وَفق منهجٍ علمي دقيقٍ التزمَ فيه بما يحققُ ما يصبو إليه؛ ومن ثم اتسمَ

(١) سنن ابن ماجة، ت محمد فؤاد عبد الباقي، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم،(٢٢٣) ١/ ٨١، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى الحلبي، بدون.

بسماتٍ ميزته عن غيرِه، وأكسبَته خصوصية ورفعة، فكُتب له حُسن القبولِ؛ ولذا انصرفت الهمةُ إلى محاولةِ **استجلاءِ** تلك السمات التي زخرَ بها هذا السِفرُ، وكشفت عما كان يتمتعُ به الشيخُ من فكرٍ نيرٍ، وحسٍ مرهفٍ، ونظرٍ ثاقبٍ، وفطنةٍ ورويةٍ، وملكةٍ إبداعيةٍ ونقدية.

وقمنٌ بالذكرِ أن تلك السمات اصطبغت بالتعددِ والتنوعِ، الأمر الذي يدفع دفعًا حثيثًا إلى ضرورةِ تسليطِ الضوءِ على بواعثِها، ومظاهرِها والأثرِ المترتب عليها في دراسةٍ علميةٍ متخصصةٍ وسمت بـ " **سماتِ منهجِ الشيخ المطعني في كتابِه "خصائصِ التعبير القرآني وسماتِه البلاغية"**؛ راميةً من وراء ذلك لفتَ الانتباهِ إلى ضرورةِ القراءةِ الواعية، والفقهِ الجيدِ لمؤلفاتِ العلماء الأثبات، فضلًا عن الاحتذاءِ بمسلكهم؛ ليكونَ صنيعُه في مؤَلفه نبراسًا يهتدى به غيرُه.

ومن الدوافعِ الملحةِ خلو المكتبة البلاغية من دراسةٍ متخصصةٍ تسعى إلى تحقيقِ تلك الغاية مع ما عُنيت به الدراسةُ المعنونةُ بـ "**من جهودِ الشيخِ أ.د/ عبد العظيم المطعني في التجديدِ البلاغي**"[(١)] التي سلطتْ الضوءَ في جزءٍ منها على إبرازِ عنايةِ الشيخ بالكشفِ عن شيءٍ من أسرارِ الذكرِ الحكيم في اصطفاءِ المفردات القرآنية لاسيما ما يُتوهم فيها الترادف، والتي تجلَّتْ جذورها في ثنايا السِفر موضع الدراسة خاصةً ما أطلقَ عليه منهجَ الالتزام.

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه أن الدراسةَ أفادت كثيرًا _**في فتقِ أكمامها**_ من البحثِ العلمي المعنون بـ "**سماتِ منهج الإمام عبد القاهر في دراسة التمثيل**"[(٢)]، وكذا

---

(١) من جهود الشيخ ا.د/ عبد العظيم المطعني في التجديد البلاغي، محمد سعدي أحمد حسانين، بحث علمي منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد السابع والثلاثون الجزء الأول ٢٠١٨م.

(٢) سمات منهج الإمام عبد القاهر في دراسة التمثيل، محمود حسن مخلوف، دار البيان للطبع والنشر ١٤٢٨هـ.

المحاضرة العلمية الإلكترونية الموسومة بـ "**منهج الشيخ محمد أمين الخضري في التعامل مع كلام العلماء**"(١).

واقتضت طبيعةُ الدراسةِ اعتمادَ المنهج **الوصفي التحليلي** الذي تمثلت خطواتُه فيما يأتي:

١_ رصدُ السمات التي زخرَ بها هذا السِفرُ المبارك، وتتبعها تتبعًا دقيقًا على المستويين الجزئي والكلي بدايةً من الجزء التطبيقي في السِفر.

٢_ تصنيفُ تلك السمات تصنيفًا موضوعيًا كل في موضعِه الأخصِ الأشكلِ به.

٣_الكشفُ عن بواعث كل سمةٍ ومظاهرِها والأثرِ المترتب عليها مع تشفيعِ ذلك بالشواهدِ والدلائل المتعددة والمتنوعة.

٤_ الاعتمادُ عند ذكرِ الشواهد المعضدة على الانتقاءِ باصطفاءِ الأوضحِ، والأدقِ، وما فيه كفاية بتحقيقِ الغاية.

٥_ قرنُ الشواهد بتعقيبٍ غايته الإيضاح، أو التقرير، أو النقد، أو الاستدراك.

وجاءت الدراسةُ في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وأحدَ عشرَ مبحثًا، وخاتمةٍ، وفهارسَ فنيةٍ متنوعة.

المقدمة: عرضت فيها أهميةَ الموضوع، ودوافعَه، والمنهجَ المتبع، وخطتَه.

التمهيد: اشتملَ على محورين:

المحورُ الأول: إضاءةٌ على حدِ "المنهج، والسمات"، والمنهج المتبع في تأليف السِفر.

المحورُ الثاني: إطلالةٌ على الشيخِ المطعني، ومؤلَّفِه.

المبحثُ الأول: منهجُ الشيخ في الاستشهادِ والتحليلِ والتعليلِ.

المبحثُ الثاني: منهجُ الشيخ في التعاملِ مع كلامِ العلماء.

---

(١) المجلس الإلكتروني الحادي والتسعون من مجالس قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ا.د/ عبد الباقي علي يوسف، ٢٠/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

المبحثُ الثالث: منهجُ الشيخ في اعتمادِ النظرةِ الكلية.

المبحثُ الرابع: منهجُ الشيخ في العنايةِ بتحريكِ عقلِ المخاطب.

المبحثُ الخامس: منهجُ الشيخ في الاتكاءِ على النزعِة النفسية.

المبحثُ السادس: منهجُ الشيخ في التزامِ الدقةِ والوضوح.

المبحثُ السابع: اطرادُ التعريفاتِ والتقسيمات.

المبحثُ الثامن: الاستطراد.

المبحثُ التاسع: التوسعُ في عرضِ القضايا.

المبحثُ العاشر: إضافاتُ الشيخ المطعني وفرائدُه.

المبحثُ الحادي عشر: منهجُ الشيخ في اعتمادِ الإجمال والتفصيل.

الخاتمة: تشتمل على أهمِ النتائجِ والتوصيات.

الفهارس الفنية المتنوعة: تشتمل على:

١_ ثبت المصادر والمراجع.

٢_ فهرس الموضوعات.

التمهيد

المحورُ الأول: إضاءةٌ على حدِ " المنهج، والسمات"، والمنهج المتبع في تأليف السِفر

مما هو متفقٌ عليه أنَّ كل دراسةٍ علميةٍ تروم تحقيقَ غاية محددة؛ ومن ثم تستلزمُ معالجةً خاصةً وَفق ضوابط وأسس وإجراءات تُناسبها، حتى تكون بمنجاةٍ من العيوبِ والأخطاءِ؛ ولذا تصطبغ بصبغةٍ مميزةٍ، وتوسم بميسمٍ ألصق بها، ويَدفعنا ذلك دفعًا حثيثًا إلى تسليطِ الضوءِ على حدِ المنهج، وبيانِ المرادِ بالسمات، وإماطةِ اللثام عن أنواعِ المناهجِ المتبعةِ في الدراساتِ الأدبيةِ والبلاغيةِ، والمنهج المتبع في تأليفِ السِفر موضع الدراسة.

المنهجُ "لغة": (النون، والهاء، والجيم) أصلٌ يدورُ في فلكِ الدلالةِ على الوضوحِ والبيانِ، يُقال: "أنْهَجَ الطريق: وضحَ واستبانَ وصار نهجًا واضحًا بينًا"، كما نلحظُ فيها معنى الإعانة والتقوي[(١)]، وهذا يتلاقى والغاية المرادة من الالتزامِ بالمناهجِ في الدراساتِ العلمية، حيث الوصول إلى تحقيق الهدفِ المنشود دون خللٍ أو اضطرابٍ؛ لتقيده بضوابطَ وإجراءات.

المَنْهَجُ "اصطلاحًا": الطريقُ المؤدي إلى الكشفِ عن الحقيقةِ في العلومِ بواسطة طائفة من القواعدِ والقوانين العامة تسيطرُ على سيرِ العقل، وتحددُ عملياته، حتى يصل إلى نتيجةٍ محتومةٍ في موضوعٍ من الموضوعات[(٢)].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت عبد السلام محمد هارون، مادة (ن هـ ج)، دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، و لسان العرب، ابن منظور، مادة (ن هـ ج)، دار صادر، بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) ينظر: مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ١١، وكالة المطبوعات، الكويت، ط الثالثة ١٩٧٧م، و مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، ١٧، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٧م.

السماتُ لغة: السماتُ جمعُ سِمَة، وأصلُ المادةِ "**و س م**" يدورُ حول التحديدِ والتمييزِ، أخذًا من قولهم: "السِمَة : ما وُسم به الحيوانُ من ضروبِ الصورِ والعلامات ليُعرف بها"، وقولهم: "اتسم الرجلُ: إذا جعل لنفسه سمةً يُعرف بها"، فالسماتُ علامات لتمييزِ الشيءِ عن غيرِه، وإكسابِه خصوصية(١).

كما أنها تستلزمُ الدلالةَ على التلازمِ، وهذا مستفاد من قولهِم: "الوَسمُ: أثرُ الكي"، وهذا يُنبئ عن كونها منبثقة عن فعل خاص لا يمكن محو أثره؛ لأنه جرى وفق ضوابط وحدود.

كما تشيرُ دلالةُ المادة إلى الأثرِ المترتبِ، وهو ما يُضفيه ذلك الفعل من حسنٍ وبهاءٍ أخذًا من قولهم: "الوَسمُ: الثابتُ الحسن"، وقولهم: "الوَسَامَةُ: أثرُ الحسنِ والجمال"، ومن جانبٍ آخر نلمحُ فيها معنى الرفعة، وهذا يستلزمُ أن تكونَ فيما يُقبلُ ويُحمدُ أثره(٢).

وعلى إثرِ ما ذُكر يمكنُ وضع حد **للسماتِ** يتمثلُ في: "العلامات المؤثرة الفارقة التي يتميزُ بها الشيء عن غيرِه، والتي تكسبه خصوصيةً وحُسنًا ورِفعةً".

ومرادُنا من **سماتِ المنهجِ:** تلك الظواهرُ التي تجلت بصورةٍ واضحةٍ في المنهج الذي امتثله الشيخُ في تأليفِ سِفره المبارك، وصارت علامةً مميزةً له عن غيرِه، وأكسبته خصوصية مفصحة عن فكرِه وتوجهِه.

وتتعددُ المناهجُ العلميةُ وتتنوعُ حسب طبيعةِ المشكلةِ التي يُرادُ معالجتها، والهدف المنشود، فضلًا عن تعددِ نوعِ الدراسةِ، وتقتفي خطى ذلك المناهجُ المتبعةُ في الدراساتِ الأدبيةِ والبلاغيةِ، حيث يتجلى فيها التعددُ والتنوعُ، ومن أبرزِ تلك

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة مادة (و س م)، ولسان العرب، مادة (و س م)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار) ٢/ ١٠٣٢، دار الدعوة بدون.

(٢) ينظر: المرجع السابق.

المناهج: المنهجُ **التاريخي**، والمنهجُ **النفسي**، والمنهجُ **الاجتماعي**، والمنهجُ **الفني**، والمنهجُ **الاستقرائي**، والمنهجُ **الوصفي**، والمنهجُ **التحليلي**، والمنهجُ **التكاملي**، وغيرُ ذلك(١).

وقد امتثلَ الشيخُ في تأليفِ سِفرِه المبارك "موضع الدراسة" **المنهجَ التكاملي** المبني على جمعِ العديدِ من المناهجِ؛ لأنه ألصق بتحقيقِ ما يصبو إليه، وهو إماطة اللثامِ عما يتميزُ أو ينفردُ به النظمُ المعجزُ، وهذا يستلزمُ التنوعَ في زوايا الرؤية، وطرائق المعالجة، فتراه اعتمدَ "**المنهجَ التاريخي**" عند رومِ تتبعِ آراء العلماء في قضيةٍ أو مسألةٍ ما ناسبًا كل رأي إلى صاحبِه، كاشفًا عن مناطِ التأثيرِ والتأثرِ بينهم، أو تتبعِ تطورِ فن بلاغي، كما يتجلى في مقامِ التأصيلِ النظري مشفعًا ذلك بالتفسيرِ والتحليلِ، ومن جانبٍ آخر اتكأ عليه الشيخُ عند الإشارةِ إلى أثرِ ترتيبِ النزول بين المواضعِ في التحليلِ والتوجيه.

كما اتخذ الشيخُ من "**المنهجِ النفسي**" خيرَ معين عند بيانِ مردودِ اصطفاءِ أجزاءِ النظم مادة وبنية في نفسِ المتلقي، وتبدَّى كذلك في نهجِ الشيخِ في صَبِ أفكارِه، وعرضِها في صورةٍ طريفةٍ تأخذُ بالألبابِ، وتجذبُ القلوبَ باستجماعه كثيرًا من سبلِ التأثيرِ الوجداني كالتوطئةِ، والتسلسلِ، والاستطرادِ، وغيرِ ذلك.

ومن المناهجِ التي عُني الشيخُ باعتمادِها "**المنهجُ الاستقرائي**" الذي تجلت مظاهُره فيما اطرد من تتبعٍ واستقصاءٍ للألفاظ والتراكيب متخذًا من ذلك ركيزة لإثباتِ حكم، أو رد شبهة؛ لصحةِ النتائج المترتبة ووضوحها، أو تتبع أقسام الفنون

(١) ينظر: مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف (٣٨: ٦٢)، وأصول البحث الأدبي ومصادره، جامعة المدينة العالمية (٢٧: ٦٦)، ٢٠١١م، ومدخل إلى البحث البلاغي، إبراهيم الهدهد (٣٨: ٤٨)، مكتبة وهبة، ط الأولى ٢٠١٨م، ومناهج البحث البلاغي عند العرب دراسة في الأسس المعرفية، عماد محمد البخيتاوي ٣٠، دار الكتب العلمية بدون.

البلاغية وصورها، وتارةً ينحو منحى الاستقراءِ الناقصِ عندما لا يكون للحصرِ سبيل، أو لم يكن الحصر غاية مقصودة.

ويجنحُ الشيخُ في معالجتِه إلى اعتمادِ "**المنهج التحليلي**" بقسميه الجزئي والكلي، فتارةً يتخذُ التحليلَ الكلي مطيةً عند رومِ تتبعِ فن بلاغي خاص في النظم، أو تتبعِ ما يحوي النظمُ من فنونٍ بلاغيةٍ متنوعة، أو تتبعِ طرائق التعبير عن المعنى في جميعِ مواضع الورود، وتارةً عندما يقصدُ تقريرَ قاعدة، أو إبرازَ أوجهِ التعالقِ بين جميعِ أجزاءِ النظم، وكذا في مقامِ الموازنة، بينما يعتمدُ منهجَ التحليلِ الجزئي عندما يتعلقُ الأمر ببعضِ أجزاءِ النظم، وبيان ما يحويه من أسرارٍ ولطائف.

واتكأ الشيخُ كثيرًا على "**منهجِ الموازنة**" بما عقده من موازنات متعددة زخر بها سِفره إما بين آراء العلماء في قضيةٍ أو مسألةٍ ما، أو بين الشواهد وما يكتنفها من تحليلٍ سواء أكانت بين مواضعِ النظم القرآني، أم بين النظمِ القرآني والنظمِ البشري.

كذلك اعتمدَ "**المنهجَ الوصفي**" لاسيما عند توسعِه في عرضِ القضايا التي تناولَها بالمعالجةِ محررًا ومفسرًا ومحللًا لأدقِ التفاصيل، فضلًا عن تقريرِها.

وتجلى "**المنهجُ الاجتماعي**" في توجيهاتِه القائمةِ على مراعاةِ حالِ المخاطبين، وأثرِ البيئةِ المحيطةِ بهم في تشكيلِ معتقداتهم وسلوكِهم، كما تبدى أثرُ البيئةِ المجتمعية في تشكيلِ الجانبِ الفكري للعلماء، وما انبثقَ عن ذلك من آراءٍ وتوجيهات.

وقد كان للشيخِ عنايةٌ خاصةٌ بتطبيقِ ضوابط **المنهج الفني** "الجمالي" من جانبين: **أحدهما:** تسليطُ الضوءِ على القيمِ الجمالية للألفاظِ والأساليب في النظمِ المعجز.

الآخر: حرصُ الشيخِ في عرضِه على تحري الدقةِ والوضوحِ، واستكمالِ جميعِ جوانب الفكرة المطروحة، فضلًا عن اختيارِ الموضوعاتِ المطروحة وترتيبِها، مع التزامِ الموضوعيةِ والإنصافِ، وتجنبِ السيرِ جراء داعي الهوى.

المحورُ الثاني: إطلالةٌ على الشيخِ المطعني، ومؤَلَّفه.

الشيخُ **عبد العظيم إبراهيم محمد المُطعني** علمٌ من أعلامِ الأمةِ الأثبات، الذين قلما يجودُ الزمانُ بمثلِهم، والذين أخذوا على عاتقِهم حملَ لواءِ الدفاعِ عن لغةِ القرآنِ والإسلامِ، ولدَ الشيخُ في جزيرةِ "**المنصورية**" مركز "كوم أمبو" محافظة "**أسوان**" في صعيدِ مصر عام ١٩٣١م، وقد حباه اللهُ النباهةَ والفطنةَ، فكُتب له النبوغُ والتميزُ، وبدا أثرُ ذلك جليًا في جميعِ مراحله التعليمية، بدايةً من التحاقه بكتابِ القرية، وحفظه كتاب الله في سنٍ مبكرة، ثم التحاقه بالدراسةِ في المعاهدِ الأزهرية، ومنها إلى كليةِ اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة التي تخرج منها عام ١٩٦٦م، مترقيًا في طلبِ العلم، فحصل على درجةِ الماجستير في تخصصِ البلاغةِ والنقد ببحثِه الموسومِ بـ "**سحر البيان في مجازات القرآن**"، مترقيًا إلى درجةِ العالمية (الدكتوراه) بسِفرِه المبارك _موضع الدراسة_ المعنونِ بـ "**خصائصِ التعبيرِ القرآني وسماتِه البلاغية**" عام ١٩٧٤م، ثم حصلَ على درجةِ أستاذ مساعد عام ١٩٨١م، وبلغَ غايةَ الأمرِ بحصولِه على درجةِ الأستاذية عام ١٩٨٦م.

وقد عُني الشيخُ بنقلِ خبراتِه العلمية، ومهاراتِه المهنيةِ إلى طلابِ العلم في جامعةِ الأزهر (كلية اللغة العربية بالقاهرة، وكلية اللغة العربية بإيتاي البارود)، وفي العديدِ من جامعات بلدانِ العالمِ العربي مثل: جامعة "أم القرى" بمكة المكرمة عام (١٩٨٢: ١٩٨٣م)، و (١٩٨٨: ١٩٩٣م)، وجامعة البحرين عام ٢٠٠٣م، فكان نعمَ المربي والمعلم.

كما كان متمتعًا بسعةِ الاطلاع، والعقلِ المتيقظ، والفكرِ النير، تدفعه رغبةٌ ملحةٌ إلى التصدي لموجاتِ التشكيكِ والطعنِ التي وجهت سهامَها صَوب لغة القرآن والإسلام؛ ومن ثم تعددت وتنوعت مؤلفاتُه التي اتَّسمت بميسمِه، واصطبغت

بصبغةٍ خاصة، وجالت في ميدانِ **الدراساتِ القرآنيةِ، والبلاغيةِ، والأدبيةِ، والنقديةِ، والإسلاميةِ**، منها:

_ المجازُ في اللغةِ والقرآن بين الإجازةِ والمنعِ عرض وتحليل ونقد، مكتبة وهبة ٢٠١٤م.

_ التفسيرُ البلاغي للاستفهام في القرآنِ الكريم، مكتبة وهبة.

_ التشبيهُ البليغ هل يرقى إلى درجةِ المجاز؟، مكتبة دار الأنصار.

_ من قضايا البلاغةِ والنقدِ، مكتبة دار الفتح للإعلام العربي.

_البلاغة، الجامعة الأميريكية المفتوحة ٢٠٠٥م.

_جوانياتُ الرموزِ المستعارةِ لكبار "أولاد حارتنا"، مكتبة وهبة ١٩٩٦م.

_ الشبهاتُ الثلاثون المثارةُ ضد السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض، مكتبة وهبة.

_ افتراءاتُ المستشرقين على الإسلامِ عرض ونقد، وكالة الأهرام للتوزيع ١٩٩٨م.

_مواجهة صريحة بين الإسلامِ وخصومِه ردود على حملات التشكيك في الإسلام، مكتبة وهبة ٢٠٠٧م.

وقد عاش الشيخُ حياةً زاخرةً بالعلمِ حتى انتهى أجلُه المكتوب بعد صراع مع المرضِ لم يمنعه من أداءِ حق العلم وطلابه، وكانت وفاتُه يومَ الثلاثاء الموافق التاسع والعشرين من شهر يوليو **٢٠٠٨م**، رحمَه الله رحمة واسعة، ورضي عنه، وجعلَ ما تركه ذخرًا له[١].

(١) ينظر: من جهود الشيخ ا.د/ عبد العظيم المطعني في التجديد البلاغي، (٢٣٧: ٢٤٢)، وجهود الأستاذ الدكتور/ عبد العظيم في الكشف عن إعجاز القرآن من خلال كتابه "دراسات جديدة في إعجاز القرآن"، إبراهيم عطية إبراهيم عيسى، (٢٠٤: ٢٠٧)، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد الرابع والثلاثون ٢٠٢١م.

إطلالةٌ على المؤَلَّف (خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية)

هذا السِفرُ المبارك سطرته أناملُ الشيخ، وجادت قريحتُه بما حواه من دررٍ ولآلئ للحصول على درجةِ العالمية (الدكتوراه) في البلاغةِ والنقد في كليةِ اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٤م، وقد دفعه إلى تأليفِه محاولةُ رد ما كان يموج من أفكارٍ وآراءٍ منحرفة عمادها التنكر لحقائق الإيمانِ، والتمرد على سلطانِ الدينِ، بإبرازِ صحةِ ما ينكرونه من خلالِ بيانِ وجه إعجازِ النظمِ الحكيمِ، وتسليطِ الضوءِ على ما يعين على إجلاءِ ذلك.

وقد عُني الشيخُ في مؤلَّفِه بتتبعِ الظاهرةِ البيانية في القرآن مع سوقِ الدليلِ عليها، كما كانت له عنايةٌ خاصةٌ بالاعتمادِ على القرآن نفسِه في استنتاجِ ما أمكن استنتاجه، بالنظرِ إلى طُرقِ الصياغة، وبالرجوعِ إلى أسبابِ النزول، وبالوقوفِ على السابقِ واللاحقِ نزولًا، وبالتفريقِ بين ما هو مكي وما هو مدني، وبقرائن الأحوالِ ومقتضياتِ المقامات، ثم بالرجوعِ إلى الدلالاتِ اللغويةِ لألفاظهِ من حيث اللغة في نفسِها، ومن حيث وجودها في سياق معين.

ومع اتكاءِ الشيخ على ما جادت به قرائحُ السابقين قد أفرغَ ما امتلكَ من جهدٍ، واستنفذَ ما وجدَ من طاقةٍ في التأملِ والنظرِ فيما درس من نصوصٍ قرآنية لم يجد لسابقٍ فيها توجيهًا، أو وجدَ ولكن لم يبلغ مرحلةَ الإقناع[١].

وقد حوى المؤَلف بين دفتيه تسعمائة وتسعة وتسعين صحيفة انقسمت إلى جزءين اشتملا على خمسةِ أبواب، احتوى الجزءُ الأول على بابين، والجزءُ الثاني على ثلاثة أبواب.

البابُ الأول: مدخلٌ إلى البحث، وقد اشتمل على فصلين:

الفصلُ الأول: وظيفةُ التعبير اللغوي وتطورها.

---

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني،١/ ٩، مكتبة وهبة القاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الفصلُ الثاني: قيمةُ الوجوه البلاغية في جمالِ التعبيرِ اللغوي.

البابُ الثاني: خصائصُ التعبير في القرآن الكريم، وقد اشتملَ على أربعة فصول:

الفصلُ الأول: الإعجازُ العلمي والتشريعي.

الفصلُ الثاني: الإعجازُ البياني الأدبي.

الفصلُ الثالث: خصائص يغلبُ عليها جانب الألفاظ.

الفصلُ الرابع: خصائص يغلبُ عليها جانب المعنى.

البابُ الثالث: من روائعِ المعاني في القرآنِ الكريم، وقد اشتمل على ثلاثةِ فصول:

الفصلُ الأول: من أسرارِ الحذف.

الفصلُ الثاني: من أسرارِ التقديمِ في القرآن.

الفصلُ الثالث: التقديمُ غير الاصطلاحي.

البابُ الرابع: من سحرِ "البيان" في القرآنِ الكريم، وقد اشتملَ على ثلاثةِ فصول:

الفصلُ الاول: التشبيهُ والتمثيل.

الفصلُ الثاني: المجازُ في القرآن.

الفصلُ الثالث: المجازُ القرآني.

البابُ الخامس: البديعُ في القرآن، وقد اشتمل على ثلاثة فصول:

الفصلُ الأول: المحسناتُ المعنوية.

الفصلُ الثاني: المحسناتُ اللفظية.

الفصلُ الثالث: قيمةُ البديع القرآني.

المبحث الأول
منهجُ الشيخ في الاستشهادِ والتحليلِ والتعليلِ

اختَطَّ الشيخُ في **الاستشهادِ** طريقًا متعددَ الاتجاهاتِ متنوعَ المعالمِ، كلٌ يولي وجهَه شطرَ غايةٍ يحققُها، فتجدُه يعمِد إلى **استقصاءِ الشواهدِ** عندما يرومُ ضبطَ قاعدةٍ كليةٍ، أو الإشارةَ إلى لفتةٍ بلاغيةٍ عمادُها التتبعُ والتدبرُ نحو صنيعِه عندَ بيانِ منهجِ النظمِ القرآني في استعمالِ بَعضِ الألفاظِ على بنيةٍ معينةٍ إفرادًا، أو جمعًا، أو تعريفًا، أو تنكيرًا، أو إثباتًا، أو نفيًا، أو غيرَ ذلك، كالتعبيرِ بصيغةِ الإفرادِ في نحو الكلماتِ الآتية: "**الأرض، والشمس، والقمر، والضحى، ...**" في كل موضعٍ وردت فيه[1]، مراعيًا في نحو ذلك الجانب الوجودي، كما في قولِهِ تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾ سورة الزمر الآية (٥)، وقولِه: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**﴾ سورة الشمس الآية (١).

أو التزامِ التعبيرِ بصيغةِ الجمعِ في مثلِ: "**الظلمات، والأرائك، والألباب، أكواب، ...**"؛ إذ لم يأت منها بمفردٍ ولا بمثنى[2]، مراعيًا في ذلك التعدد والتنوع، كما جاء في قولِه تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ سورة الأنعام الآية (١)، وقولِه: ﴿**عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ**﴾ سورة المطففين الآية (٢٣).

أو التزام التعريفِ لبعضِ الألفاظِ نحو كلمةِ "**الناس**"[3] كما في قولِه تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ سورة الناس الآية (١)، أو نقيضِ ذلك كتنكيرِ كلمة" **شيء**"، كما في قولِه: ﴿**فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**﴾ سورة المائدة الآية (١٧)، في كل موضعٍ وردت فيه، ولا تخرجُ عن هذا المنهجِ الذي التزمَه القرآنُ فيها مادامَ قد صرحَ بلفظها الدال

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٢٧٩: ٢٨٠).
(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ (٢٧٩: ٢٨٠).
(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٨١.

عليها[١]، وكذا التزام الإثباتِ في بعضِ الكلماتِ مثلَ كلمةِ **"طبع"**[٢]،كقوله:﴿**وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** ﴾ سورة الأعراف الآية (١٠٠)، وكذا التعبير بكلمةِ **"يشعرون"** منفية، حيث لم تأت إلا في سياقِ النفي[٣]، نحو قوله: ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ سورة البقرة الآية (٩).

ويمتثلُ هذا **النهجَ** عندَ قصدِ تقريرِ ارتباطِ بعضِ الألفاظِ بمدلولاتٍ معينةٍ لاسيما إن وُجِدَ ما يُوهمُ خلافَ ذلك، كالتعبيرِ بلفظِ **"امرأة"** في كل موضعٍ أُشيرَ فيه إلى افتقادِ الحياةِ الزوجيةِ بعضَ مقوماتِها سواءٌ أكانَ ذلك من جانب الرجلِ، أم من جانبِ المرأةِ، وكذلكَ إذا انفصمت عُرى الزوجية بموتٍ وما أشبهَ الموت، ويُؤثرُ التعبير بكلمةِ **"الزوج** "متى استقامت تلك الحياةُ[٤]، نحو قوله: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ**﴾ سورة آل عمران الآية (٤٠)، **وقوله**: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾ سورة الأنبياء الآية (٩٠)، حيث يستلزمُ الفصلُ في الأمرِ، وإثباتُ صِحةِ الدعوى استقصاءَ مواضعِ الورود، وإيضاحَ ما أُشكلَ.

كما يسلكُ هذا **المسلكَ** عندَ بيانِ منهجِ النظمِ المعجزِ في الاستعمالِ الحقيقي أو المجازي لبعضِ الألفاظِ نحو: **"ختم**[٥]، **وطبع**[٦]، **وأحاط**[٧]، **ووسع**[١]، ..."؛ إذ لا سبيلَ إلى ذلك إلا بالتتبعِ.

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٢٨١: ٢٨٢).
(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٨٢.
(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٨٢.
(٤) ينظر: المرجع السابق ١/ (٢٩١: ٢٩٦).
(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٣٠٣.
(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٢٩٩: ٣٠١).
(٧) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٣٣٥: ٣٤٠).

ويمتدُ الأمرُ إلى مراعاةِ ذلك في بناءِ الأساليب يشهدُ له **استقصاءُ** السورِ القرآنيةِ المفتتحةِ بأسلوبِ الشرطِ وهي: "**الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنصر**"[٢] قاصدًا من وراءِ ذلك استنباط بَعضِ الخصائصِ التي تجمعُها وتُميزُها.

وكذا **استقصاء** مواضع تقديمِ السمعِ على العلمِ، من بابِ تقديمِ السببِ على المسبب؛ لأنَّ السمعَ سببٌ من أسبابِ العلم، كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ سورة البقرة الآية (١٢٧) [٣]، وغير ذلك.

وقد يكونُ دافعُ الشيخِ إلى الاستقصاءِ **تصويبَ** ما ذهبَ إليه غيرُه، نحو ما جاءَ من استدراكِه على **الإمامِ شمسِ الدينِ بن الصائغ** صاحبِ كتابِ "**المقدِمةُ في أسرارِ الألفاظِ المقدَمة**"[٤] عندما ذكرَ أن الإنسَ يقدمُ على الجنِ في كلِ موضعٍ وردا فيه؛ لشرفِ الإنسِ على الجنِ؛ إذ **يقول** الشيخُ: وليتضحَ لنا وجه هذا الخطأ نذكرُ استعمالاتِ القرآنِ للجنِ والإنسِ مجموعين في سياقٍ واحدٍ، ثم يذكرُ مواضعَ اقترانِهما التي يُقدمُ فيها ذِكرُ الجنِ تارةً، ويُؤخرُ تارةً أُخرى مصرحًا بعددِ مواضع الورود[٥].

=

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/ (٣٦٢: ٣٦٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٠٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/ ١٠٧.

(٤) لم أعثر على هذا الكتاب ، واعتمدت على ما ذكره السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ٣/ ٤١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٥) ينظر: خصائص التعبير ٢/ (١١٣: ١١٦).

وقد يكون باعثُ **الاستقصاءِ** دفعَ توهمٍ، أو ردَ شبهة[١]، حيث يتخذُ من ذلك حجةً قويةً مقنعةً مزيلةً للشبهة.

والشيخُ في إشارتِه إلى هذا الاستقصاءِ يسلكُ **مسلكَين**:

أحدُهُما: التصريحُ بعددِ مواضعِ الورودِ نحوَ قولِه عندَ التدليلِ على توارِدِ المعاني على اللفظِ الواحدِ: ومن ذلك كلمةُ "**هدى**" وما اشتُقَ منها، فقد وردَ فيه هذا اللفظُ في سبعةَ عشرَ موضعًا مرادًا به سبعةَ عشرَ معنى كذلك، وهاكَ أمثلتها[٢].

الآخر: الإشارةُ الكليةُ نحو **قولِهِ:** "هذا قياسٌ مطَّردٌ نجده في كل النصوصِ الواردةِ في هذا الشأن"[٣]، وكذا قوله: "ونذكرُها على وجهِ الاستقراءِ"[٤].

وسمت جليٌ آخرٌ في منهجِ الشيخِ في الاستشهادِ يتمثلُ في **تعددِ الشواهدِ** التي يستضيء بها، رغبةً في تقريرِ ما يذهبُ إليه، وبيانِ أنه سِمة ظاهرة جلية في النظمِ المعجزِ، وليوصدَ البابَ أمامَ أدنى توهم[٥]، كما يتخذُ ذلكَ سبيلًا لردِ الخطأِ في الحكمِ[٦]، وتَطردُ إشارتُه إلى كثرةِ تلك الشواهدِ، وأنه ما ذكرَ إلا نماذجَ لاسيما إذا كانت على نسقٍ واحدٍ نحو **قوله:** "وهناك أمثلةٌ كثيرةٌ لهذا النوعِ فلنكتف بما ذكرناه"[٧]، **وقولِهِ:** "وهي قليلٌ من كثير"[٨]، **وقوله:** " وهي مُثُلٌ مضروبة لا على

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/(٢٥٧: ٢٦١).
(٢) ينظر: المرجع السابق ١/(٣٦٩: ٣٧١).
(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٠١.
(٤) المرجع السابق ١/ ٢٨٨.
(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٢٨٦.
(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/(٢٨٨: ٢٨٩).
(٧) المرجع السابق ٢/ ٧٢.
(٨) المرجع السابق ٢/ ٤١٨.

سبيل الاستقصاء"[١]، **وقوله:** "هذه مُثُلٌ، وغيرُها كثيرٌ، لم نرد بذكرها الاستقراءَ التامَ، بل نماذجَ وشاهدَ صدقٍ على ما نقولُ"[٢].

وهذا **التعددُ** تارةً يجري على وتيرةٍ واحدةٍ بذكرِ أكثرِ من شاهدٍ بينها اشتراكٌ في تحقيقِ غايةٍ واحدةٍ مبالغةً في التقريرِ، ويتجلى ذلكَ عندما لا يكونُ للحصرِ سبيلٌ كالشواهدِ المتعددةِ المذكورةِ عند حديثِه عن حذفِ الفعلِ إذا وَلِي أداةَ الشرطِ[٣]، نحو **قوله تعالى:** ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ سورة التكوير الآية (١)، **وقولهِ:** ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ سورة الانفطار الآية (١).

وتارةً أخرى يكونُ التعددُ عمَاده التنوع بين الشواهدِ؛ لتنوعِ الغايةِ الخاصةِ المراد تحقيقها، وتنوعِ زاويةِ التأملِ رغبةً في تحقيقِ التكاملِ بينَ تلكَ المواضع، وإبرازِ موطنِ العجبِ في بناءِ النظمِ، نحوَ تنوعِ الشواهدِ المبنيةِ على التشبيهِ الواردةِ في شأنِ الكافرينَ، حيث تجاوزَ عددُها الثلاثين موضعًا، تجاذبتها أحوالُ الكافرين المتنوعةُ ما بين ضلالِ المعتقدِ، وضعفِ المعتقدِ، وبطلانِ الأعمال، وسوءِ المصير، وغير ذلك، حيثُ سُلطَ الضوءُ في كلِ شاهدٍ على تحقيقِ غايةٍ بعينها[٤]، **وقد** يصرحُ الشيخُ بذلك في بعضِ المواضعِ **قائلًا:** "ولنذكر مثالًا آخرَ من غيرِ هذا النوع"[٥].

ويأتي على استحياءِ الاستشهادُ **بشاهدٍ فردٍ**، ويردُ عندما يستشعرُ الشيخُ وضوحَ الأمرِ وجلاءَه، فضلًا عن تصريحه بذلكَ كثيرًا نحو **قوله:** "ونكتفي بمثالٍ واحدٍ فيه غَنَاءٌ أيما غَنَاء"[٦].

---

(١) خصائص التعبير ٢/ ٢٠.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٦٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/(٢١: ٢٣).

(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/(٢٠٥: ٢٣٥).

(٥) المرجع السابق ١/ ٤١٢.

(٦) المرجع السابق ١/ ٢٧٣.

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه اتساعُ أفقِ الشيخِ عندما تنصرفُ همتُه إلى اتخاذِ كثرةِ الورودِ وقلتِها ضابطًا للموازنةِ بين أحوالِ أجزاءِ النظمِ كحذفِ المسندِ والمسندِ إليه(١)، أو حذفِ المضافِ والمضافِ إليه(٢).

ومن السماتِ الجليةِ في منهجِ الشيخِ **الاتكاءُ على الشواهدِ السابقِ ذكرها** في مؤلفاتِ مَن تقدَمَه في كثيرٍ من المواضعِ على المستويينِ النظري والتطبيقي؛ لتعلقِ الأمرِ بالكتابِ العزيزِ، المَعينِ الذي لا ينضبُ، متخذًا من ذلكَ حصنًا يركنُ إليهِ فيما يذهبُ، ومن جانبٍ آخرٍ يتخذُ من هذا المسلكِ سبيلًا لعرضِ جهودِ السابقينَ في المسألةِ التي يَعرضُ لها على اختلافِ مشاربِهم، وتنوعِ رؤيتِهم لاسيما عندَ قصدِ التتبعِ، متيحًا بذلك الفرصةَ للإدلاءِ بدلوه مقررًا، أو مستدركًا، أو رادًا، أو مضيفًا، قدرَ ما فتحَ الله به عليه؛ ومن ثم تتجلى المسألةُ في أوضح صورةٍ وأكملِها، فيكونُ في ذلك شفاء لغُلة المتلقي، **نحوَ** صنيعه عندَ تناولِ صورِ التقديمِ القرآني عندَ البلاغيينَ، وشمسِ الدين بن الصائغ، وضياءِ الدين بن الأثير، والمفسرين(٣)، وكذا تناولِ فنونِ البديعِ عند ابن أبي الإصبع(٤).

ولم يكتف الشيخُ بما ذكرَه السابقون، وإنما كانَ حريصًا على أن يضعَ بصمتَه، ويدلُو بدلوِه بذكرِ نماذج لم يذكروها، يشهد لذلك **قولُه:** "فيما مضى قدرٌ كافٍ مما ذكرَه العلماءُ في هذا الموضوعِ، فلندل بدلونا فيه بأمثلةٍ غيرِ التي تقدمت لهم"(٥).

وجديرٌ بالذكر أنَّ الشيخَ في كثيرٍ من المواضعِ كان يستعينُ **بشواهدَ شعريةٍ** لتحقيقِ عدةِ غايات منها:

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ٣٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٤٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/(٨٠: ٢٠١).

(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٤١١: ٤٧٦).

(٥) المرجع السابق ١/ ٤٠٧.

أولًا: تحقيقُ الاستدلالِ على أنَّ النظمَ المعجزَ جاءَ وَفقَ سَننِ العربِ في كلامِهم _في الأعم الأغلب، حيث كانت له ابتكاراتٌ انفرد بها_ كالاستشهادِ على حذفِ المضافِ في النظمِ موردًا أكثرَ من شاهدٍ نحو قولِ الأعشى:

أَلَم تَغتَمِض عَيْنَاكَ ليلةَ أرْمَدَا وَبِتَّ كما بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدا(١)

حيثُ حُذف في البيتِ مضافان: مضافٌ إلى "**ليلة**"، ومضافٌ إلى "**أرمد**"، والمعنى: اغتماضَ ليلة رجلٍ أرمد، قائلًا: وهذا في كلامِهم لا حصرَ له، **وكذلكَ** جاءَ حذفُ المضافِ في القرآنِ الكريم(٢)، وهو متأثرٌ في توجيهه بما ذكره أبو عبيد البكري في توجيهِ هذا الشاهد(٣).

ثانيًا: عقدُ الموازنةِ بينَ النظمِ القرآني والنظمِ البشري؛ لإثباتِ وجوهِ المفارقةِ بينهما؛ ومن ثمَّ إثبات تفوقِه بطريق لا يقبلُ الردَ، كإشارته إلى ألفاظٍ قَبُحَ ورودُها في النظمِ البشري، وحَسُنَ في النظمِ القرآني كلفظِ "**مقاعد**"، حيثُ عابَها النقادُ في قولِ الشريف الرضي:

أعزِز عَليَّ بأن أراكَ وقد خَلَت من جانِبَيكَ مقاعدُ العُوَّادِ(٤)

حيثُ اقترنَ ورودُها بما يُكره ذِكرُه، بينما جاءت في القرآنِ عذبةً رشيقةً، وذلكَ في نحو **قوله** تعالى:﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ سورة الجن الآية (٩)، **وقوله:** ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ سورة آل عمران الآية (١٢١)، فالمقاعدُ هنا في الموضعين بمعنى المنازل، ولا يمكن أن يُفهمَ منهما المعنى الذي

---

(١) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق محمد حسين، ١٣٥، مكتبة الآداب بالجماميزت بدون.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ٤٤.

(٣) ينظر : سمط اللآلي في شرح آمال القالي، أبو عبيد البكري، ت عبد العزيز الميمي، ١/ ٤٤٠ ، دار الكتب العلمية بيروت بدون.

(٤) ديوان الشريف الرضي، ٢٩٥، المطبعة الأدبية بيروت، ١٣٠٧هـ.

من أجلهِ كرِهِ النقادُ استعمالَ هذه الكلمة؛ لأنها لم تضف إلى ما يمكنُ أن يُفهمَ من إضافِتها إليه ذلك المعنى المستكره، وذلك سرُ الجمال في هذين الموضعين[١]، ويؤيدُ ذلك ما ذَكره ابن الأثير في قوله: "ولو قال الشاعرُ بدلًا من "مقاعد العواد" "مقاعد الزيارة"، أو ما جرى مجراه لذهب ذلك القبح، وزالت تلك الهجنة؛ ولهذا جاءت هذه اللفظة في الآيتين على ما تراه من الحُسن"[٢].

ثالثًا: تعضيدُ ما يذهبُ إليه من توجيهٍ، حيثُ ذهبَ إلى أن في قولهِ تعالى: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ سورة البقرة الآية (١٠) مجازًا عقليًا، حيثُ أسندَ الإيلامَ إلى ضميرِ العذابِ، وذكرَ نظيرًا له من قولِ العربِ يتمثلُ في قولِ عمرو بن معد يكرب:

وخيلٍ قد دَلَفتُ لها بخيلٍ تحيةُ بينهِم ضربٌ وجيعُ[٣]

حيثُ أسندَ الوصفَ "**وجيع**" إلى ضميرِ الضربِ؛ لأنَّ الضربَ سببُ الإيجاعِ، كما أنَّ العذابَ سببُ الإيلامِ، فالعلاقةُ فيهما السببيةُ، والقرينةُ حالية[٤].

رابعًا: اتكاءُ الشيخِ على المنظومِ الشعرِي في مقامِ التعريضِ بالمخالفِ بأبياتٍ جرت مجرى المَثَلِ، كقولِه عَقِبَ الحديثِ عن أسرارِ التكرارِ في النظمِ المعجزِ: "ذلك هو جانبُ التكرارِ في القرآنِ الكريمِ، فليأت قصاصو العالمِ بأدبٍ مثلِهِ، ولِيُرِنَا الطاعنون أين موضع العيبِ فيما جاءَ في القرآن مكررًا، وإلا فكفى لغوًا، فإنْ كانوا مكابرين قلنا لهم كما قالَ الأعشى:

كناطحٍ صخرةً يومًا ليُوهِنَها فلم يَضِرها وأَوْهَي قَرْنَهُ الوَعِلُ[١]

---

(١) ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ١١٠ ، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٢هـ_ ١٩٨٢م.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ت أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ١/ ٢٠٣ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة بدون.

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب، جمع مطاع الطرابيشي، ١٤٩، ط الثانية ١٩٨٥م.

(٤) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ٣١١.

وإن كانوا ضالين قلنا لهم:

وإذا كُنتَ لم تر الهلالَ فسلم لأنـاسٍ رَأُوه بالأبصـارِ[٢]

أما الاستشهادُ **بخلافِ** النظم العالي فقد كان أقل نصيبًا؛ حيث العناية في المقامِ الأولِ بإبرازِ خصائص النظم المعجز، وبيان مجيئه وَفق سنن ما برعوا فيه، وتمكنوا منه؛ لتتجلى المفارقةُ، ويسطعُ التفوقُ.

ويَعمِدُ الشيخُ إلى سلوكِ مسلكِ **الاستطرادِ** في الاستشهادِ؛ لتقريرِ أنَّ ما يذهبُ إليه سِمَةٌ ظاهرةٌ.

ويتجلى الوعيُ الدقيقُ في منهجِ الشيخِ في عرضِ الشواهدِ، حيثُ جاءَ **ترتيبُها** في كل موضعٍ وَفقَ نَسقٍ بديع استجابةً لما تقتضيه الغايةُ المنشودةُ كالترقي في الوضوحِ[٣]، أو الدقةِ[٤]، أو التدرجِ من الكثرةِ إلى القلة[٥]، أو ذكرِ التفصيلِ بعدَ الإجمالِ[٦]، أو التقريرِ[٧]، أو الاستطرادِ[٨]، أو غير ذلك.

هذا ما كانَ من أمرِ الاستشهادِ، فإذا انصرفت الهمةُ إلى بيانِ منهجِ الشيخِ في **التحليل** تجدُه يسيرُ وَفقَ خطى واضحة المعالمِ ارتسمَها، والتزمَ نهجَها، ومن أبرزِ تلك المعالمِ:

=

(١) ديوان الأعشى ٦١.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٣٦٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ ٤٤٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٤٨.

(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٢١: ٣١).

(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٢٤٥.

(٧) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٢٠٩.

(٨) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٢٣٦.

اطرادُ **التحليلِ لجميعِ الشواهدِ** التي احتشدَها للتدليلِ على فكرتِه، حتى تستوي على سُوقِها؛ ومن ثمَّ يكونُ لها نصيبٌ موفورٌ من القبولِ والتسليم، فيثبتُ بذلكَ ما سعى إلى تحقيقِه من كونِ ذلكَ من خصائصِ النظمِ المعجزِ، ويَتبدَّى ذلك بصورةٍ جليةٍ عندَ الاستشهادِ على فكرةٍ تتَّسمُ بالطرافةِ والجدةِ(١)، أو في مقامِ الموازنةِ بينَ الشواهدِ(٢)، أو في مقامِ الاستدراكِ والرد(٣)، أو في مقامِ التتبعِ والحصرِ(٤)، أو عندَ تنوعِ زاويةِ الرؤيةِ، والغايةِ التي يصبو إلى تحقيقِها(٥).

ويكتفي الشيخُ في مواضعَ معدودةٍ **بتحليلِ بعضِ الشواهدِ** متكئًا على وضوحِ الأمرِ وجلائِه بما عُرِض من تحليلٍ مستفيضٍ، مانحًا المتلقي الضوابطَ التي تُعِينُه على الفقهِ الجيدِ لما لم يتم تحليلُه كالقياسِ وغيرِه(٦).

ويتجاذبُ الشيخَ في تحليلِه **نظرتان: إحداهما** نظرةٌ كليةٌ، **والأخرى** نظرةٌ جزئيةٌ، فتجدُه يمتطي **النظرةَ الكليةَ** سبيلًا لاستجلاءِ أواصرِ القربى بين أجزاءِ موطنِ الاستشهادِ، وكيف تتعاضد آخذًا بعضُها بأعناقِ بعضٍ في ترابطٍ محكمٍ ابتداءً من حسنِ المطلعِ والختامِ إلى تناسبِ الحروفِ والحركاتِ، مستدعيًا في كثيرٍ من المواضعِ مسوغَ بناءِ النظمِ، والأثرَ المترتبَ عليه، فضلًا عن أوجهِ التعالقِ بينه وبين السياقِ القبلي والبعدي، وهو أمرٌ مُطَّردُ الورودِ.

وبرؤيةٍ أخرى يُعنى الشيخُ في كثيرٍ من المواضعِ باتخاذِ **النظرةِ الكليةِ** مسلكًا عندَ رومِ تَتَبعِ فنٍ بلاغي بعينِه في بناءِ النظمِ كصنيعِه عندَ تتبعِ صورِ المجازِ في بعضِ النصوصِ(١).

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٤٠٣: ٤١١).
(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ (٤٦٨: ٤٧٦).
(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٢٨٨: ٢٨٩).
(٤) ينظر: المرجع السابق ١/ (٣٣٥: ٣٦٦).
(٥) ينظر: المرجع السابق ١/ (٤٥٨: ٤٨٤).
(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٣٠: ٣١).

هذا من جانبٍ ومن جانبٍ آخر يتخذها أداةً **لتتبعِ** ما يحويه النظمُ من فنونٍ بلاغيةٍ متعددةٍ؛ لتحقيقِ التعضيدِ تارةً نحو قوله عندَ تحليلِ الشواهدِ المصوّرةِ حالِ الدنيا في سورِ "**يونس، والكهف، والحديد**"، وقد برزت في ثنايا التشبيهاتِ الرئيسةِ صورٌ بيانيةٌ تدورُ حولَ التشبيهِ والمجازِ والقصرِ، ثم يستعرضُ تلك الفنونَ البلاغية(٢).

وتارةً لإبرازِ التنوعِ نحو صنيعه عندَ تتبعِ فنونِ البديعِ المتنوعةِ في بعضِ النصوصِ كما في قولِه: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ سورة هود الآية (٤٤)، حيثُ أورد منها واحدًا وعشرين فنًا_تناثرت في كتبِ السابقين_ كالمطابقةِ، وصحةِ التقسيم، والتسهيم(٣).

ويمتدُ الأمرُ ليشملَ **النسيجَ الكلي** للسورةِ نحو ما كان من تلمُّسِ أسسِ الترابطِ بينَ المعاني، والإحكامِ بينَ الصياغاتِ المختلفةِ في سورةِ "**الغاشية**"(٤).

وكذا الشأنُ عندَ الكشفِ عن أوجهِ التعالقِ بين الفاصلةِ والنظمِ في عددٍ من السورِ كسورةِ "**عبس**(٥)، **والتكوير**(٦)، **والشمس**(٧).

=

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/ (٢٩٣: ٣٤٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٢٤٨: ٢٤٩).

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/(٤٦٢: ٤٦٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق ١/(٤٠٧: ٤١١).

(٥) ينظر: المرجع السابق ١/ (٣٠٤: ٣٠٨).

(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٢٠٩: ٢١٤).

(٧) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٤١.

ومن مظاهرِ ذلك أيضًا ما كان من الإشارةِ إلى الطابعِ السائدِ المصطبغِ به بناءُ السورةِ، كالطابعِ القصصي في سورةِ "**القمر**"(١)، وطابعِ تعدادِ النعمِ على الثقلين في سورةِ "**الرحمن**"(٢).

ويتسعُ أفقُ الشيخِ، وفقهُه للمرادِ القرآني، فيغوصُ في أعماقِ النظمِ محاولًا استخراجَ دررِهِ التي يشعُ ضوؤها على نسيجِ السورةِ، وما يكتنفُها سباقًا ولحاقًا سواء أكانَ ذلك وَفقَ ترتيبِ المصحفِ أم ترتيبِ النزولِ، وتجلى ذلك عندما عمَد إلى استظهارِ أوجِه التلاقي بين سورةِ "**الكوثر**" وسابقتِها في ترتيبِ المصحفِ "**الماعون**"، ولاحقتِها "**الكافرون**"(٣)، وكذلكَ بين سورةِ "**الكوثر**" وسابقتِها في النزولِ "**العاديات**" ولاحقتِها "**التكاثر**"(٤).

ويعتلي سنامَ الأمرِ عندَ تتبعِ ما يعرضُ له في **النظمِ القرآنِي كاملًا**، وقد جاءَ ذلكَ بكثرةٍ عندَ تحليلِه مواضعَ الاستقصاءِ لبعضِ الألفاظِ(٥)، أو التراكيب(٦).

كما تبدَّى بصورةٍ واضحةٍ عند محاولةِ استظهارِ **أسرارِ التكرارِ في قصةِ آدم (عليه السلام)** في جميعِ مواضعِ ورودها، مميطًا اللثامَ عمَّا بينها من وجوهِ الاتفاقِ والاختلافِ(٧).

ومن مظاهرِ اتساعِ نظرته وعكوفِه على سبرِ أغوارِ النظم إشاراتُه المتعددةُ إلى **خصائصِ الألفاظِ والأساليبِ** الواردةِ بين دفتي المصحفِ، كاتِّسامِ الألفاظِ الواردةِ في مقامِ الترغيبِ والتبشيرِ بالرقةِ والعذوبةِ، وفي مقامِ التهديدِ والوعيدِ وما يشبهُ

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٣٢٨.
(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ ٣٢٩.
(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ (٤١٢: ٤١٥).
(٤) ينظر: المرجع السابق ١/ (٤١٥: ٤١٨).
(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٣١٠: ٣١٥).
(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/ (١٩٧: ١٩٩).
(٧) ينظر: المرجع السابق ١/ (٣٣٥: ٣٦٦).

بالقوةِ والعنفِ[١]، ونحو ما جاء من إشارتِه إلى خصائصِ التشبيهِ[٢]، والمجازِ القرآني[٣]، والطباقِ[٤].

ومما يشهدُ باتساعِ أفقِ الشيخِ جنوحُهُ كثيرًا إلى الاستطرادِ بذكرِ ما يعضدُ مذهبَه ترقيًا في الإيضاحِ والتقرير[٥].

ومن طرافةِ مسلَكِه _رضي الله عنه_ الكاشفِ عن عمومِ نظرتِه افتتاحُ دراستِه في بعضِ المواضعِ بتقريرٍ نظري تمهيدي يُسلطُ فيه الضوءَ على العناصرِ الرئيسةِ التي يدورُ في فلكِها ما يَعرضُ له، ثم يُعقِّبُ بذكرِ الشواهدِ تطبيقًا على ذلك[٦]، وفي مواضعَ كثيرةٍ يختمُ دراستَه بتعقيبٍ شاملٍ يرتكزُ فيهِ على بيانِ خلاصةِ نتائِجه، أو خصائصِ ما عرضَ له[٧].

وعلى الصعيدِ المقابلِ يكونُ منطلقُ الشيخِ في التحليلِ **النظرةَ الجزئيةَ** التي تنصبُّ على موطنِ الاستشهادِ فقط استجابةً لما يقتضيِه المقامُ، وهو مسلكٌ قليلُ الورودِ إذا قُورنَ بسابقِه، ويَتجلى ذلك عندما يتعلقُ التحليلُ ببعضِ أجزاءِ النظمِ كحذفِ الكلمةِ[٨]، أو التجوزِ في النظمِ[٩]، أو فنونِ البديع[١٠].

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٢٦٦.
(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/(٢٧٩: ٢٩٢).
(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٣٩٧: ٤٠٥).
(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/(٤١٨: ٤١٩).
(٥) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٩١، ٣٢٦، ٢/ ٢٩٥
(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/(٢٠٥: ٢٠٦).
(٧) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٣٩٧: ٤٠٥).
(٨) ينظر: المرجع السابق ٢/(٣٠: ٣٤).
(٩) ينظر: المرجع السابق ٢/(٣١٣: ٣١٥).
(١٠) ينظر: المرجع السابق ٢/(٤٧٢).

ويتَهَدَّى الشيخُ بالدلالةِ اللُغويةِ لبعضِ ألفاظِ الشاهِد إمَّا لما يكتنفُها من دلالاتٍ متعددةٍ(١)، وإمَّا حدثَ في استعمالِها تجوزٌ(٢)، وقد يُوَطِّئ للتحليلِ بشيءٍ يسيرٍ من التفسيرِ يتخذه أداةً تُعِينُه على تحقيقِ بُغيتِه(٣).

ويعمِدُ الشيخُ إلى تحليلِ موطنِ الاستشهادِ تحليلًا يكشفُ عن وعيٍ دقيقٍ وفقهٍ جيدٍ؛ ومن ثمَّ يغوصُ في أعماقِهِ، ويُجلي ما يحتمُله من توجيهاتٍ متعددةٍ مرجحًا بينها، رادًا ما لم يوافق مذهبَه، وهو مسلكٌ مطَّردٌ(٤).

ومن مظاهرِ دقتِه جنوحُه إلى الجمعِ بين **الشواهدِ المتقابلة**(٥)، جامعًا بين الإقناعِ والإمتاعِ، حيثُ تتضحُ الأفكارُ، وتَتجلى المعاني، وتَأنسُ النفوسُ بالجمعِ بينَ المتقابلين، ولا يَخفى ما في ذلك من المبالغةِ في الإيضاحِ والتقريرِ، ويأتي ذلك استجابةً لتنوع زاويةِ الرؤيةِ؛ ومن ثم تكامل الفكرةِ.

وللشيخِ قدمٌ راسخةٌ في عقدِ **الموازناتِ** بينَ الشواهدِ التي تربطُها وشائج قوية سواء أكانَ طرفا الموازنةِ من النظمِ المعجزِ كاشفًا عما بينها من أواصرِ القربى، ووجوهِ الاختلافِ(٦)، أم كان أحدُ طرفي الموازنةِ من النظمِ المعجزِ، والآخرُ من النظمِ البشري مسلطًا الضوءَ على ما بينها من فوارقَ عجيبةٍ، وهو أمرٌ مطَّردٌ(٧)، كاشفًا عن مراتب تلك الشواهدِ، وترقيها في تحقيقِ المرادِ.

والشيخُ في موازنتِه يتكئ كثيرًا على ما جادَت به قرائُح السابقين موضحًا، ومقررًا، وناقدًا مع الاحتفاظِ بنصيبٍ موفورٍ من الجدِ والاجتهادِ.

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٤٢٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٣١٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٦٤، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٩٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٢٢٩.

(٥) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٢٩، ٢٥٧.

(٦) المرجع السابق ١/ ٢٢٨.

(٧) ينظر: المرجع السابق ٢/٢٤١، ٢٦٥.

وهو في تحليلِه يتخطى ما ظهرَ وتجلىَ محاولًا إماطةَ اللثامِ عما وراءَ ذلك من دررٍ ولطائف؛ حيث فُرقَ له في كثيرٍ من المسائل؛ ومن ثم تناثرت فرائدُه في مواضعَ متعددة، مصرحًا بذلك نحو **قوله:** "لم أر توجيهًا لأحدٍ في هذا"[١]، **وقوله:** "لم أر من تنبه له"[٢].

ويأبى أستاذنُا إلا أن يجعلَ من **المخاطبِ** مشاركًا له، مانحًا إياه فرصةَ التفكيرِ والإبداعِ، فيعمِدُ إلى العزفِ على الوترينِ الوجداني والعقلي مستدعيًا فيه قوىَ التأثيرِ، ومن مظاهرِ ذلك: كثرةُ محاورتِه، ودعوتِه إلى التأملِ والاستنباط فضلًا عن القياسِ، والمقارنةِ، والتقييمِ[٣].

وقمنٌ بالذكرِ أن للشيخِ مسلكًا دقيقًا في التعاملِ مع المخاطبِ مبنيًا على مراعاةِ الترقي استجابةً لتدرجِ مداركهِ في فقهِ المرادِ، يشهدُ لذلك صنيعُه مع المخاطبِ عندَ تحليلِ قولهِ تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ سورة البقرة الآية (١٧٨)، متدرجًا تدرجًا منطقيًا حيثُ افتتحَ خطابَه بالأمرِ بالقراءةِ، وهي أُولى المراحلِ "اقرأ مثلًا قولَه تعالى..."، ثم ترقى بدعوتِه إلى التأملِ والتدبر إذ يقول: وانظر إلى الاستدراجِ إلى الطاعة في افتتاح الآية... والتهديدِ في ختامِ الآية"، ثم أخذَ بيدِه إلى مرحلةٍ أكثرَ دقةً "ثم وازن بين الاستدراجِ إلى الطاعةِ في مطلعِ الآية، والتهديدِ في خاتمِتها، وأنزلْ ذلك من نفسِكَ، وانظر حالهَا كيف تكون[٤].

---

(١)خصائص التعبير ٢/ ١٨.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢٦٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/٩٦، ٤٣٦.

(٤) ينظر: المرجع السابق ١/(٤٢٠: ٤٢١).

وينتهج الشيخُ في التحليل نهجًا طريفًا مطَّردًا عمادُه **الفرضُ والتقديرُ** متخذًا ذلك سبيلًا لدفعِ توهمٍ، أو تصويبِ خطأ، أو تقريرِ مقصدٍ، حيثُ يفترضُ الشبهةَ، ويتولى الردَ عليها ردًا مفحِمًا دليلًا على تمكنِه، وسعةِ أفقِه، ورغبتِه في معالجةِ المسألةِ من جميعِ جوانِبها؛ ليوصدَ البابَ أمامَ أدنى توهمٍ أو إنكار(١).

ويتجلى في منهجِ الشيخِ انصرافُ الهمةِ إلى **تحليلِ الشواهدِ السابقِ ذكرها**، حيثُ أولي ذلك عنايةً كبيرةً، ومن ثم وضعَ نُصبَ عينيه تعضيدَ ما يذهبُ إليه بأقوالِهم؛ ليضفِي عليه سمتَ التقريرِ(٢)، كما اتسمَ تحليلُ الشيخِ بوضوحِ اللغةِ وسهولتِها، وتسلسلِ الأفكارِ وطرافتِها.

ومن السماتِ الجليةِ جلاءَ الشمسِ في كبدِ السماء، والمؤكدةِ تمكنَ الشيخِ، وحسنَ إدراكِه، وسعةَ اطلاعه **اقترانُ التحليلِ بالتعليلِ**، حيثُ يطَّردُ شفاعةُ التحليلِ بالتعليلِ الأخصِ الأشكلِ به، والشيخُ في تعليله يتجاوزُ العللَ الظاهرةَ إلى ما دقَّ وخفي أمرُه جامعًا بينَ أكثرِ من علةٍ في الأعمِ الأغلبِ، ويكثرُ ورودُ التعليلِ عندَ قصدِ التأصيلِ، أو التحليل، أو الموازنةِ، أو الاستدراكِ أو الردِ، أو التتبعِ.

ولم ترد تلك التعليلاتُ على وتيرةٍ واحدةٍ، وإنما تنوعت منابعُها وفقَ ضوابط متعددةٍ كمراعاةِ ترتيبِ النزولِ(٣)، أو موافقةِ سَنَنِ العربِ في كلامهِم(٤)، أو مراعاةِ الضابطِ اللغوي(٥)، أو البلاغي(٦)، أو النفسي(٧)، أو التاريخي(١)، أو العلمي(٢)،

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٢٥٧، ٢٨٦، ٢٩٤.
(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٧٨.
(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/٢٠.
(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٤٤.
(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٢٦.
(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٥٢.
(٧) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٧٦.

وكذا مراعاةِ المقامِ وحال المقصودين[٣]، والذوق[٤] فضلًا عن التشاكلِ اللفظي[٥]، والتشاكلِ المعنوي[٦].

وسأكتفي بالإشارةِ إلى بعضِ تلكَ الضوابط:

أولًا: موافقةُ سَننِ العربِ في كلامِهم.

نزلَ القرآنُ الكريمُ بلغة العربِ وَفقَ سَننها، وطرائقِها في بناءِ النظمِ في الأعم الأغلب؛ ومن ثمَّ اتخذَ الشيخُ ذلك مردًا للتعليلِ في كثيرٍ من المواضعِ كصنيعِه عند بيانِ أثرِ التجوزِ في قولِه تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ سورة الدخان الآية (٢٩)، حيثُ قال: "ففي نفي بكاءِ السماءِ والأرضِ عليهم تهكمٌ بهم؛ لأنَّ العربَ كانوا إذا ماتَ لهم عظيمٌ قالوا في تعظيمِ مهلِكِه: بكت عليه السماءُ والأرضُ، وبكته الريحُ، وأظلمت له الشمسُ"[٧].

ثانيًا: الضابطُ النفسي.

مخاطبةُ الجانبِ الوجداني، ومحاولةُ كشفِ خبايا النفوس، وسبرِ أغوارِها من أقوى سبلِ التأثير في المتلقي، وقد فَطِنَ الشيخُ إلى ذلك؛ ومن ثم عمَدَ إلى اتخاذِه أداةً للتعليلِ، وهو مسلكٌ مطَّردٌ يشهدُ لذلك قولهُ عند بيانِ سرِ حذفِ المفعول في قولِه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ سورة الأعراف الآية (١٤٣)، إذ التقدير: "ذاتك"؛

=

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/٢٠٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/٢٣٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/ ١٦٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٢٩٦.

(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/ ١٧٩.

(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/١١٢.

(٧) المرجع السابق ١/ ٤٧٨.

لأنَّ نفسَ موسى عليه السلام لا تساعد عليه؛ لعزةِ المطلب لذلك طوى في نفسهِ ذكره، ولم يصرح به [١].

ثالثًا: الضابط العلمي.

إيمانًا بالتكاملِ المعرفي، وإبرازِ الإعجاز القرآني من وجوهٍ متعددةٍ انصرفت همةُ الشيخِ إلى الاتكاءِ على الإعجازِ العلمي سبيلًا للتعليلِ نحو ما جاءَ عندَ بيانِ سرِ اختيارِ المشبه به في قولِه تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة البقرة الآية (٢٦٥)، حيث جاءَ المشبهُ به في قولِه: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، وقد "خصها بالذكرِ _أي خصَ هذه الجنةَ التي هذه صفتُها_ ؛لأن الشجرَ فيها أزكى، وأحسنُ ثمرًا، وقليلُ الماء يكفي لإروائها ككثرِته لكرمِ منبتِها، وخصوبةِ تربتِها"[٢]، متأثرًا في توجيهه بما ذكره الزمخشري[٣].

وتبدَّت مما تم عرضُه عقليةُ عالمٍ بلاغي مبدعٍ، وضعَ نُصبَ عينيه استجلاءَ بعضِ مظاهرِ إعجازِ النظمِ الحكيمِ وفقَ ضوابطَ علميةٍ محكمةٍ، ملتزمًا بمنهجٍ متميزٍ جمع بين سبلِ الإقناع والإمتاع.

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/ (٥٧: ٥٨).

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢٣٧.

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري ١/ ٣١٣، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣ ١٤٠٧هـ.

المبحث الثاني

منهج الشيخ في التعامل مع كلام العلماء

مما هو متفقٌ عليه أن بقاءَ العلمِ ونماءَه مردُه إلى ينابيعَ متعددة، من أجلها تواترُ الأخذِ عن العلماء، والإفادةُ مما جادت به قرائحُهم، وقد سلكَ الشيخُ هذا المسلك، وسارَ على نهجِ أسلافِه في أخذِ العلمِ من موردِه، وارتَّسمَ لنفسِه منهجًا متميزًا في التعاملِ مع كلامِهم، تجلت ملامحُه فيما يأتي:

١ـ الدقةُ في نقلِ كلامِ العلماء.

تحرى الشيخُ الدقةَ فيما نقله عمن سبقه، وقد وضح أثرُ ذلك في عدةِ مظاهر منها:

نسبةُ النص المأخوذِ إلى قائلِه مشيرًا إلى اسمِ الكتابِ والجزءِ ورقمِ الصفحةِ، ودارِ النشر، والطبعة[١]، ولم **يخالف** ذلك إلا في مواضعَ قليلة تارةً لم يذكر اسمَ الكتاب[٢] مع ذكرِ مؤلِّفِه، وأخرى لم يذكر الجزءَ والصفحةَ[٣]، وقد **يتجاوزُ** الشيخُ عن نسبةِ بعضِ الشواهدِ الشعرية إلى قائلِها[٤].

وللشيخِ عنايةٌ بالإشارةِ إلى **منهجِه** في نقلِ النصِ المختارِ إما بالإشارةِ الصريحةِ إلى انتفاءِ التصرفِ في النصِ كقولِه عقبه: "انتهى كلامُ صاحبِ الظاهرةِ القرآنية"[٥]، أو بوضعِ علامةِ تنصيص[٦]؛ حتى لا يلتبس النصُ المنقولُ بغيرِه.

وتارةً يشيرُ إلى **إحداثِ تغييرٍ في النص** إما بالتصرفِ نحو قوله: "نقلنا هذه الدراسةَ في شيءٍ من التصرفِ من كتابِ "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ٣٢/١، ٢٠٠، ٢٠١ .

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢١٨/١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢٢٥/١، ٢٢٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق ٣٦٦/١، ٢/ ٥٣.

(٥) المرجع السابق ٣٨٥/١.

(٦) ينظر: المرجع السابق ١/(٤٠٠: ٤٠١).

للرافعي"[١]، وقوله: "بتصرفٍ يسير"[٢]، وإما بالتلخيصِ بدليلِ قوله: "والمثالُ الثالثُ نذكره ملخصًا من كتابِ "النبأ العظيم"[٣]، وإما بالنقلِ بالمعنى لاسيما عند تعددِ المراجع[٤].

ومن الركائزِ الثابتةِ التي اتكأ عليها الشيخُ في النقلِ **الاكتفاءُ** بما يحققُ الغرض المنشود دون خللٍ أو تطويلٍ، عازفًا عزوفًا تامًا عن نقلِ ما لا حاجة إليه، متجنبًا اكتساء النصِ بما يعيبه.

وقد كان الشيخُ متميزًا بسعةِ الاطلاع، وبدا أثرُ ذلك في **تنوعِ المصادرِ** التي أفادَ منها، ما بين كتبٍ مطبوعةٍ "عربية، وغيرها"[٥]، أو مجلاتٍ علميةٍ[٦]، أو دروسٍ مسموعةٍ[٧]، أو برامج تلفزيونيةٍ مشاهدة[٨].

ومما له بذلك نسبٌ وصلةٌ الرجوع إلى **المصادرِ الأصيلةِ المتخصصة** كـ "البلاغةِ[٩]، والنحوِ[١٠]، والأدبِ[١١]، والمعاجمِ[١٢]، والتفسيرِ[١٣]، وعلومِ القرآن[١٤]،

(١) خصائص التعبير ٢٤٩/١.
(٢) المرجع السابق ٣١١/١
(٣) المرجع السابق ٣٩١/١
(٤) ينظر: المرجع السابق ٨١/٢.
(٥) ينظر: المرجع السابق ٤٧٨/١ ، ٢/ ١٠٨، ٢٨٠.
(٦) ينظر: المرجع السابق ١٩٨/١، ٣٨٤.
(٧) ينظر: المرجع السابق ٢٩٦/١.
(٨) ينظر: المرجع السابق ٤٣٨/١ .
(٩) ينظر: المرجع السابق ٩٧/٢
(١٠) ينظر: المرجع السابق ٤٤/٢.
(١١) ينظر: المرجع السابق ٤٥٣/١.
(١٢) ينظر: المرجع السابق ١/ ٤٦٠، ١٩٦/٢، ٢٥١.
(١٣) ينظر: المرجع السابق ٢٩٣/١
(١٤) ينظر: المرجع السابق ٤٠٣/١

وغيرِ ذلك"، جامعًا بين القديمِ والحديثِ، كل في موضعِه الأخصِ الأشكلِ به؛ ليتحققَ المقصود على أتمِ وجه، ويتمُ التكاملُ المعرفي المنشود.

وتتجلى دقةُ الشيخِ في الاتكاءِ على بعضِ **المصادرِ المتخصصةِ** في كثيرٍ مما عرضَ له؛ لما لها من تميّزٍ وتفردٍ في المعالجة؛ ومن ثم تتحققُ بغيته، مصرحًا بذلك في تناولِ بعض القضايا كالاتكاءِ على تفسيري "**الكشاف للزمخشري، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود**" عندَ عرضِ منهجِ المفسرين في تناولِ التقديمِ في القرآن خاصة، وفيما عرض له في سفرِه عامة، معللًا ذلك **بقوله:** وأبرزُ ما يمتازُ به منهجهما هو الحريةُ، وعمقُ النظرة، وإن كان العلامةُ أبو السعود أرسخَ قدمًا من الزمخشري في هذا المجال (دراسة التقديم)[1]، فضلًا عما زخرَ به المؤلَّفين من لطائف بلاغية منبئة عن حسٍ مرهفٍ، وذوقٍ بلاغي متميز، وفكرٍ مستنير، حيثُ يُعد تفسير الزمخشري أنموذجًا رائعًا في تطبيق ما ورد في كتابي الإمام عبد القاهر "**دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة**" من نظرات بلاغية، وقواعد تأصيلية، كما أنهما بمثابةِ المنبعِ الذي استقى منه كثيرٌ من البلاغيين والمفسرين بعدهما لاسيما في الجانبِ البلاغي.

ونحو ذلك صنيعه عند دراسةِ نماذج من صورِ البديعِ في القرآن، وبيانِ خصائصه، حيث اتكأ فيه بصورةٍ جليةٍ على ما وردَ في كتابِ "**بديع القرآن**"، مصرحًا بقوله: "على أننا في ذِكرِنا لتلك النماذج سنجعل الأساسَ في ضبطِها ما ذَكره ابن أبي الإصبع في كتابِه "**بديع القرآن**"؛ لأنه حرصَ على التمثيلِ لكل فنٍ من فنونه بنصوصٍ قرآنية، أما غيره فإن التمثيلَ بالقرآن ليس بلازم عندهم، وهذا لا يمنع من ذكرِ آراء الآخرين إذا تطلبَ ذلك غرض هام"[2].

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ١٤٣.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٤١١

ومن المصادرِ التي تأثرَ الشيخُ بها تأثرًا بالغًا فيما عرض له من موضوعاتٍ وقضايا كتاب "**البرهان في علوم القرآن**" للزركشي، وكذا كتابي "**الإتقان في علوم القرآن**" و "**معترك الأقران في إعجاز القرآن**" للسيوطي، حيث عُنيت بإبرازِ خصائص النظمِ المعجزِ من جوانب متعددة ومتنوعة.

وقد يُراعي الشيخُ **التدرجَ الزمني** عند عرضِ أقوالِ العلماء حسب ما يقتضيه المقام، لاسيما في مواضعِ التتبع(١)، وإذا نقلَ عن عالم استقى فكرتَه من غيرِه أشارَ إلى ذلك(٢).

وفي مواضع معدودة يعمدُ الشيخُ إلى التعريفِ ببعضِ الأعلامِ الذين لهم أثرٌ جلي فيما يعرض له(٣).

٢ـ التوسعُ في عرضِ أقوالِ العلماء.

انصرفت همةُ الشيخِ في كثيرٍ من المواضعِ إلى **تتبعِ** أقوالِ العلماء في مسألةٍ أو قضيةٍ ما، أو تحليلٍ، أو تحريرِ مصطلح، راميًا من وراءِ ذلك الجمع بين الرؤى المتنوعة لاسيما في مواطنِ الخلافِ؛ لإعطاء صورة متكاملة، وفي ذلك منحُ المتلقي فرصةَ التفكيرِ والتمييزِ.

وراعي الشيخُ في تتبعِه **التدرجَ الفكري** في التناولِ الكاشفِ عن الترقي في مدارج الفقهِ والبيانِ، يشهدُ لذلك صنيعه عند تتبعِ أقوالِ المجيزين ورود السجعِ في القرآنِ الكريم، مفتتحًا بذكرِ بعضِهم إجمالًا في قولِه: "أما المجيزون لورودِ السجعِ في القرآنِ فكثيرون كذلك منهم: **أبو هلال العسكري، وضياء الدين بن الأثير، والعلوي** صاحب الطراز، **وابن سنان الخفاجي، والفراء** من النحاة، **والزركشي**

(١) ينظر: خصائص التعبير ٤٦٣/١.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١٩٢/١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/ ١٠٤.

صاحب البرهان، **والسعد، وابن النفيس** وغيرهم"، مسلطًا الضوء على صنيعِهم في سبيلِ إثباتِ مذهبِهم المتمثل في مسلكين:

١_ الرد على شبهِ المانعين. ٢_الإتيانُ بأدلةٍ جديدةٍ تؤيدُ مذهبهم.

ثم أخذ في استعراضِ بعضِ أقوالهم، كقولِ **أبي هلال العسكري** : "جميعُ ما في القرآنِ الكريم مما يجري على التسجيعِ والازدواجِ مخالف في تمكينِ المعنى، وصفاءِ اللفظ، وتضمنِ الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلامِ الخلق"(١)، وقولِ **ابن الأثير**: "وإلا لو كان مذمومًا يعنى السجع لما وردَ في القرآنِ الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثيرِ، حتى إنه ليؤتى بالسورةِ كلها مسجوعة كسورةِ "**الرحمن، والقمر**"، وغيرهما... وبالجملةِ فلم تخل منه سورةٌ من القرآن"(٢)، ملفتًا الانتباه إلى اقتصارِ عملهِم على المسلكِ الأول، متبعًا ذلك بالإشارةِ إلى مجاراةِ مذهبِهم من قبل ابن **طباطبا العلوي وابن النفيس**.

ثم أشارَ إلى ترقي **ابن سنان الخفاجي** في معالجتِه، حيثُ أتى بالعملين معًا: رد شبهِ المانعين، وإثبات جديد من الأدلةِ ليس في وسعِ منصفٍ إنكارها، فكان أكثرَ النقادِ حسمًا للخلاف، وأشدَهم حماسًا لإثباتِ السجعِ في القرآن، مستعرضًا منهجه في تناولِ تلك القضية(٣)، **فالشيخُ** في تتبعُه يشيرُ إلى ما ينفردُ به أحدُهم دون غيره، أو ما يضيفُه، وهذا مسلكٌ مطَّردٌ.

كما يسلكُ في تتبعِه مسلكين : **أحدُهُما**: التصريحُ بعرضِ نصوصِهم، إذا كان القولُ ذا خطر وشأن على المستويين النظري والتطبيقي، **الآخر**: تقديمُ خلاصةٍ وافيةٍ ماتعةٍ لأقوالهم يسلطُ فيها الضوءَ على أبرزِ الأسسِ التي ارتكزت عليها؛ إذ

---

(١) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ت على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢٦٠، المكتبة العصرية بيروت ١٤١٩هـ.

(٢) المثل السائر ١/ ٢١٠.

(٣) ينظر: خصائص التعبير ١/(٢٢٠: ٢٢٢).

هي مناطُ الأمر، ومفصلُ القول، وموطنُ الفائدة، ويطردُ ذلك في القضايا التي تحملُ في طياتِها رؤى متعددة تبناها جمعٌ من العلماء، وصارت مذهبًا لهم، كقضيةِ التقديمِ القرآني.

ومما كان موضع عنايته ﷺ **جمع الآراءِ المتوافقةِ في قرنٍ واحد**، يشهدُ لذلك قولُه عند الإشارةِ إلى موافقةِ الزمخشري لابن الصائغ في توجيهِ تقديمِ "الإراحة" على ما بعدها في قولِه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ سورة النحل الآية (٦)؛ لأنها حالُ إراحتِها آخر النهارِ يكون الجمالُ بها أفخر، إذ هي بطان، وحال سراحها للمرعى يكون الجمالُ بها دون الأول، إذ هي فيه خماص، وهذا أنسبُ لسياقِ الكلام، وهو مقامُ تعداد النعمِ، ثم يقول الشيخُ: ويؤيدُ الزمخشري هذا التوجيه، ويكاد أن يتفقا في العبارة(١) .

٣_ الاتكاءُ على كلامِ العلماء

أولى الشيخُ ما جادت به قرائحُ العلماء الأثبات عناية بالغة متخذًا من أقوالِهم ركنًا منيعًا يأوي إليه، ويتقوَّى به؛ ومن ثم وضعَ نُصبَ عينيه تعضيد ما يذهبُ إليه بأقوالِهم، تأصيلًا وتحليلًا وتوجيهًا وترجيحًا وردًا، وقد اطَّردَ ذلك في مقامِ التأصيلِ، وبلغَ به الأمرُ حدَ **البدء** بذكرِ كلامِهم نحو ما جاء عند حديثِه عن أقسامِ الفواصل القرآنية، حيثُ افتتحَ بقوله: "**قسَّمَ ابن أبي الإصبع** فواصلَ القرآن أربعةَ أقسام وهي: ١_ التمكين ٢_ التصدير ٣_التوشيح ٤_ الإيغال(٢).

وتارةً **يختمُ** كلامَه بذكرِ دررِهم مضفيًا عليه سمتَ التقرير؛ ليتمكنَ في النفسِ فضلَ تمكن، يشهدُ لذلك ختم كلامِه عن خصائصِ الحذفِ القرآني بقولِه: وأكاد أجزم أن عبد القاهر حينما قال: "ما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحُذِف في الحال ينبغي أن يُحذف فيها إلا وأنت تجدُ حذفَه هناك أحسنَ

(١) ينظر: الكشاف ٢/ ٥٩٤، و خصائص التعبير ٢/ (١١٧: ١١٨).

(٢) ينظر: خصائص التعبير ١/(٢٣٣: ٢٣٤).

من ذكره"[١]، إنما كان يعني الحذف في القرآن على أن يُحمل كلامه على جميعِ صورِ الحذف، سواء أكان المحذوف اسمًا، أم فعلًا، أم حرفًا، أم جملة، أم أكثر من جملة[٢].

وانعكاسًا لفكرِهم النير، وحسِهم البلاغي والنقدي المرهف اتخذَ الشيخُ من أقوالِهم **سندًا في التحليلِ والتوجيهِ** لما يستشهدُ به، وهو مسلكٌ مطَّردٌ في جميعِ ما يعرض له؛ ومن ثمَّ نكتفي بذكرِ بعض الشواهد.

ما ذكره الشيخُ مستضيئًا برأي **الزمخشري** عند بيانِ نوعِ التشبيهِ في قولِه تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**" سورة الحج الآية (٣١)، حيثُ قال: هذا التشبيه محتملُ التركيب والإفراد، وأمرُ التركيبِ فيه ظاهر، أما الإفرادُ فقد خرجَ على النحو الآتي:

أن يشبه الإيمانَ في علوِه بالسماء، والذي أشركَ بالله وتركَ الإيمانَ بالخار من السماءِ، والأهواءَ التي تتوزعُ أفكاره بالطيرِ المختطفة، والشيطان الذي يضله بالريحِ التي تهوي بما عصفت به في بعضِ المهاوي المهلكة[٣].

كذلك **استعانَ** بكلامِهم عند بيانِ السرِ البلاغي وراء التقديمِ والتأخيرِ بين قولِه تعالى في سورةِ "**الأنعام**" : ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ﴾ سورة الأنعام الآية (١٥١)، وقوله تعالى في سورةِ "**الإسراء**: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ﴾ سورة الإسراء الآية (٣١)، حيث قدَّمَ في موضعِ "**الأنعام**" رزقَ المخاطبين على رزقِ أولادهم المدلول عليه بعطفِ ضميرهم عليه، وفي "**الإسراء**" قدَّم رزقَ

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر،(١٥٢: ١٥٣)، مطبعة المدني بالقاهرة، ط الثالثة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ٢/٧٧.

(٣) ينظر: الكشاف ٣/ ١٥٥، و خصائص التعبير ٢/٢٢٩.

الأولادِ على رزقِ المخاطبين، والسر وراء ذلك يكمنُ في كونِ الخطاب في "**الأنعام**" مع قومٍ فقراء يهمهم رزقهم أولًا، ثم رزقِ أولادهم ثانيًا، فقدَّم رزقَهم لأنه عندهم أهم.

وفي "**الإسراء**" الخطابُ مع غيرِ فقراء لكنهم يخشون وقوعَ الفقرِ في المستقبلِ فتجوع أولادُهم، فرزق أولادهم_ لأنه مظنةُ القلة المتوقعة _ أهمُ عندهم من رزقهم؛ لأنهم حاصلون عليه، فقدَّم رزقَ أولادهم على رزقهم؛ لأنه أهم ،والدليلُ على أن التعبيرَ في الأولى هكذا " مِنْ إِمْلَاقٍ " أي: فقرٌ واقعٌ فعلًا، وفي الثانية " خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ" أي: فقرٌ متوقعٌ، **ثم أتبعَ ذلك بقولِه:** وهكذا تنصُ كتبُ التفسيرِ وكتبُ البلاغة، فليس لنا في هذا الموضع سوى أمانة النقل، دون ذكر مصدر معين؛ لتواتر ذلك(١).

وفي بعضِ المواضع **يتسلحُ الشيخُ بأقوالِ السابقين في دفعِ الشبهةِ ودحضِها،** يشهدُ لذلك اعتمادُه على ما ذَكرَه **ابن الأثير** في ردِه على **الغانمي، والعز بن عبد السلام** القائلين بأن القرآنَ إنما ورد على الاقتضابِ، وأن ليس في القرآن شيءٌ من حُسنِ التخلص، حيثُ قال **المطعني:** وقد فنَّدَ المتأخرون شبهاتِ هذه الفكرة، وضربوا أمثلةً كثيرةً لجودةِ الربطِ بين المعاني في القرآن من المواضع التي يَظن المتعجلُ أن الربطَ معدومٌ بينها، من هؤلاء **ضياء الدين بن الأثير** في "**المثل السائر**"، **والزركشي** في "**البرهان**"، ثم عرضَ ما جاءَ في "**المثل السائر**" من تفنيدِها، حيث قالَ **ابن الأثير:** "وقال **أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي:** إن كتابَ الله خالٍ من التخلصِ، وهو قولٌ فاسدٌ؛ لأن حقيقةَ التخلص إنما هي الخروج من كلامٍ إلى كلامٍ آخر غيره بلطيفةٍ تلائمُ بين الكلامِ الذي خرج

(١) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي، ٣/ ٣١٧ ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة بدون، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي ٣/ ١٩٨ دار إحياء التراث العربي بيروت بدون، والإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، (١١٧: ١١٨) دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، و خصائص التعبير ١٨٣/٢.

منه، والكلامِ الذي خرجَ إليه، وفي القرآنِ الكريم مواضع كثيرة كالخروجِ من الوعظِ والتذكيرِ والإنذارِ، والبشارةِ بالجنة إلى أمرٍ، ونهيٍ، ووعدٍ، ووعيدٍ، ومن محكمٍ إلى متشابه، ومن صفة لنبي مرسل، وملك منزل إلى ذمِ شيطان مريد، وجبار عنيد بلطائف دقيقة، ومعان آخذ بعضها بركابِ بعض"[(١)].

٤_التعقيبُ على كلامِ العلماء

حبا الله الشيخ مقدرةً لغويةً، وحسًا بلاغيًا مرهفًا، وذكاءً وفطنةً، فتمكنَ من الفقهِ الجيدِ لكلامِ العلماء؛ ومن ثم حاولَ جاهدًا سبرَ أغواره، واستظهارَ مكنونه، واستجلاءَ درره، واستنطاقَ دلالاته؛ **ولذا اطردَ شفاعة أقوالهم بتعقيبٍ هادفٍ**، تنوعت غاياتُه ما بين الإيضاحِ، والتحليلِ، والنقدِ، والاستدراكِ، والاستنتاجِ، والتقريرِ، وغيرِ ذلك، وكأن ذلك مظهر من مظاهرِ الاعترافِ بفضلِهم، وبيان قيمة ما أودعوه.

وإيمانًا من الشيخِ بأن قيمةَ الكلامِ الجيدِ منوطةٌ بمدى تأثيرِه، ولا يتحققُ ذلك إلا بكشفِ اللثام عن مكنونِه انصرفت همتُه في كثيرٍ من المواضع إلى التعقيبِ على كلامِ أهل العلم، راميًا من وراءِ ذلك إيضاحه وتجليته.

ويتبدَّى ذلك بوضوحٍ في **تعقيبِه** على ما ذكرَه **الزركشي** في شأن ما تتَّسمُ به السورُ القرآنية المفتتحة بالحروفِ المقطعةِ حيثُ قال: "واعلم أن عادةَ القرآن العظيم في ذكرِ هذه الحروف أن يذكرَ بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله: ﴿الم * **ذَلِكَ الْكِتَابُ**﴾ سورة البقرة الآيتان (١: ٢)، وقد جاء خلافُ ذلك في "**العنكبوت والروم**"، فيسأل عن حكمةِ ذلك"[(٢)]، حيث عقَّبَ **موضحًا** ذلك بالشواهدِ والدلائلِ قائلًا: "والحقُ أن المتتبعَ لهذه السور الثلاث يجد في غضونِها ذِكرًا وحديثًا عن القرآنِ، أو الانتصارِ للقرآن... ففي "**مريم**" تكرر قولُه _تعالى_ خطابًا للنبي عليه السلام

---

(١) المثل السائر ٣/ ١٢٨، وينظر: خصائص التعبير ١/(٤٠٠: ٤٠١).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ١/ ١٧٠، دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ سورة مريم الآيات (١٦، ٤١، ٥١، ٥٤، ٥٦)، خمسَ مرات، ثم تأتي في نهايةِ السورة هذه الآية ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ سورة مريم الآية (٩٧)، وكذا الحال في سورةِ " **العنكبوت**"، فقد وردَت فيها الآيات الآتية ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾ سورة العنكبوت الآية (٤٥)، و﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾ سورة العنكبوت الآية (٤٧)، و ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ سورة العنكبوت الآية (٤٨)، و ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ سورة العنكبوت الآية (٤٩)، و ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ سورة العنكبوت الآية (٥١)، وجاءَ كذلك في سورة "**الروم**" قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ سورة الروم الآية (٥٨)، ثم زيَّن كلامَه **باستنتاج** عماده ما يأتي:

أولًا: أن كل سورة بُدئت بالحروفِ المقطعة فيها حديثٌ مباشرٌ عن روعةِ القرآنِ الكريم وإعجازِه.

ثانيًا: إذا لم يكن ذلك الحديث مباشرًا فإنه يأتي في غضونِ السورةِ مبينًا فضل القرآن وأثره، ومنتصرًا له على سواه .. (١).

ومما تجدرُ الإشارة إليه أنَّ الشيخَ استدركَ على **الزركشي** عند تحديدِ مواضع السور، حيث اقتصرَ الزركشي على ذكرِ سورتي "**العنكبوت، والروم**"، وأضافَ **المطعني** موضعًا ثالثًا، وهو موضع سورة "**مريم**".

ويعمدُ الشيخُ كثيرًا إلى **تحليلِ** بعض أقوالِ العلماء محاولًا استجلاء ما تحويه من درر ولآلئ، ويمتثلُ ذلك فيما عظمَ أثره، وبدت طرافتُه، نحو ما جاء من تحليلِه كلام **ابن خلدون** الكاشف عن مذهبِه الرافض إطلاق لفظ السجعِ في القرآنِ، إذ يقول: "أما القرآن _وإن كان من النثر _ إلا أنه خارجٌ عن الوصفين، ليس يُسمى مرسلًا مطلقًا ولا مسجعًا، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهدُ الذوق بانتهاءِ

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٢٠٤: ٢٠٦).

الكلامِ عندها، ثم يُعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، ويثنى من غيرِ التزامِ حروف تكون سجعًا ولا قافية، ويسمى آخر الآيات منها فواصل؛ إذ هي ليست أسجاعًا، ولا التزم فيها ما التزم في السجعِ، ولا هي قوافي أيضًا"(١)، حيث **أبانَ الشيخ** أهمَ الركائز التي اتكأ عليها **ابن خلدون**، ومنبعَه الذي استقى منه قائلًا: "ويبدو أن **ابن خلدون** أول من أطلقَ هذه التسمية، وقد طرقَ في نصِه هذا أهم قضايا هذه الفكرة، وكان موفقًا أيما توفيق حيث اشتقَ تسميةَ "**الفاصلة**" من استعمالِ القرآن نفسه لهذه المادةِ في حديثِه عن القرآن اسمًا وفعلًا؛ ولذلك فإن هذه التسمية ليست بغريبة عن روحِ القرآن ولغتِه"(٢).

وجدير بالذكرِ أنَّ إطلاقَ مصطلحِ "الفاصلة" قد سبق **ابن خلدون** بزمن، فقد وردَ ذكره عند جمعٍ غفيرٍ أمثال: **الرماني**(٣)، **والباقلاني**(٤)، **والزركشي**(٥).

ومن مظاهرِ الفطنةِ والفقهِ الجيدِ **الربطُ بين قولِ العالم وفكرِه العقدي**، وتبدى ذلك في تعقيبِه على ما ذهبَ إليه **الزمخشري** عند تحليلِ قولِه تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾ سورة البقرة الآية (٧)، حيثُ أَبَى الزمخشري إسنادَ الختمِ إلى الله على الحقيقةِ متأثرًا بمذهبِه الاعتزالي الذي لا يجيز إسناد أفعال القبحِ إلى الله؛ ولذلك جعلَه من المجازِ العقلي، والفاعلُ الأصلي هو

(١) مقدمة ابن خلدون ٦٦٢، دار الفكر بدون.

(٢) خصائص التعبير ١/ (٢٢٠).

(٣) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت محمد خلف ومحمد زغلول، ٩٧ دار المعارف، ط الثالثة ١٣٧٩هـ.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن، الباقلاني، ت السيد أحمد صقر (٢٧٠: ٢٧١) دار المعاف مصر، ط الخامسة ١٩٩٧م.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٥٣.

الشيطان، أما إسناده إلى اللهِ فلأنه أقدرَ الشيطانَ عليه، والعلاقةُ إذن هي السببية(١).

وقد يكون باعثُ التعقيب **الاستدراك** على أقوالِ العلماء ببيانِ ما فاتهم، أو ذِكرِ إضافة جديدة نحو تعقيبِه على ما ذهبَ إليه **د/ أحمد بدوي** في قوله: وعلى كثرةِ ما نودي الرب في القرآنِ لم أعثر عليه مسبوقًا بحرفِ النداءِ إلا في تلك الآية الكريمة ﴿**وَقِيلِهِ يا رَبِّ إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ سورة الزخرف الآية (٨٨)(٢)، حيث عقَّبَ قائلًا : ويبدو أنه لم يتتبع مواضعها وإلا لم يقع في هذا القصور، ذاكرًا موضعًا آخر في سورةِ "الفرقان"، وهو قوله: ﴿**وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ سورة الفرقان الآية (٣٠) (٣).

وتارةً يأتي **بالاستدراك** ليضعَ بصمتَه بإضافةٍ جديدةٍ نحو صنيعِه عند توجيهِ سرِ الحذفِ في قوله: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ**﴾ سورة البقرة الآية (٦٠)، وقوله: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ**﴾ سورة الشعراء الآية (٦٣)، حيث ذكرَ **أبو السعود** أن الحذفَ أفاد مع الإيجاز سرعةَ حصولِ الانفجارِ والانفلاق(٤)، **فعقَّبَ** الشيخُ بقولِه: "ويمكن أن نفهمَ _من هذين الموضعين_ فوق فضيلةِ الإيجاز، وفوق معنى السرعة معنى ثالثًا **لم أجد أحدًا قد نصَ عليه**، وهو أنَّ الحذفَ يشيرُ فيهما إلى سرعةِ امتثالِ **موسى** _عليه السلام_ لأمرِ ربه، حتى

(١) ينظر : الكشاف ١/ ٥١، وخصائص التعبير ٢/ ٢٩٦.

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ١٦٩، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٥م.

(٣) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ٧.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم ١/ ١٠٦.

إنَّ الزمنَ بين تلقيه الأمر وتنفيذه لا يكاد يذكرُ لقصرِه، وذلك يكشفُ لنا أنَّ موسى _عليه السلام_ كان متلهفًا لما يشيرُ به ربه في التصرفِ أمام الأزمات"[١].

٥_ النقد.

عزف الشيخُ عزوفًا تامًا عن الاكتفاءِ بموقفِ الناقل لأقوالِ العلماء مرتضيًا لنفسِه الوقوف موقف الناقدِ البصيرِ الذي يميزُ الجيدَ من الرديء، ويستنطقُ الدلائل والبراهين، ويتلمَّسُ مواطنَ القوةِ أو الضعفِ، فكان يضعُ أقوالَ العلماء في ميزانِ النقدِ مشيدًا بالمقبول، ورادًا المخالف، وهو مسلكٌ كثيرُ الورود.

وسنكتفي بذكرِ بعض الأمثلةِ الموفية بتحقيقِ الغرض، كصنيعِ الشيخِ عند ردِ القول بأنَّ التشبيهَ المتعددَ لم يرد في القرآنِ الكريم؛ لما فيه من أثرِ الصنعةِ والتكلف[٢]، معلنًا رفضه الصريح قائلًا : ولستُ مع الأستاذِ **علي الجندي** إذ يرى أن التشبيه المتعدد...، متجاوزًا حدَ الردِ مشفعًا إياه بالحجةِ الداحضةِ المتمثلةِ في ورودِ ذلك في النظمِ المعجز على طرائق متنوعة مبالغةً في الإيضاحِ، حيث ذَكر أنَّ التشبيهَ المتعددَ وردَ في القرآنِ خاليًا من أثرِ الصنعةِ والتكلفِ، وهو على أنواع:

جاء التعددُ في الوجهِ، والطرفان مفردان مثل قولِه تعالى: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ** ﴾ سورة يس الآية (٣٩)، مشبهًا القمر بالعرجون، وهما مفردان من ثلاثةِ وجوه هي: الدقة، والانحناء، والاصفرار[٣].

---

(١) خصائص التعبير ٢/٧٦.

(٢) ينظر: فن التشبيه (بلاغة .أدب. نقد)، علي الجندي، ٢/ ١٢٧،مكتبة نهضة مصر، ط الأولى ١٩٥٢م.

(٣) ينظر: الكشاف ٤/١٧.

وصورةُ أخرى جاءَ فيها التعددُ في المشبهِ به، والمشبه مفرد، وهو ما يعرف بتشبيه الجمع[١]، نحو قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ سورة الرحمن الآية (٥٨)، مشبهًا الحور العين في الجنةِ تارةً بالياقوت، وأخرى بالمرجان[٢].

ومن مظاهرِ نقدِهِ ما جاء من ردِ القولِ بأن الحروفَ المقطعةَ في فواتحِ السورِ القرآنية أسماءُ لله أو للسورِ التي هي فيها؛ إذ كونها لله مردودٌ بأن أسماءَ الله معلومةٌ من السنةِ كما في الحديثِ الشريف "**إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسما**"[٣]، وكانت السنةُ مقررةً لما جاء في القرآن، وليست هذه منها؛ لأن أسماءَ الله توقيفية لا يجوز إطلاقها إلا بإذن من الله.

وكونها أسماء للسور مردودٌ؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخلطِ بين المسمياتِ فـ "**الم**" مثلًا وردت فواتح لستِ سور[٤]، فأيهما ألف لام ميم؟ أم هي أسماء للستِ سور في آن واحد؟![٥].

ومما تجدرُ الإشارة إليه اتكاء الشيخِ في رِده على سندٍ من النقلِ والعقلِ مبالغةً في الإقناعِ، ووصدِ بابِ المخالفة.

ولم يكن نقد الشيخ مقتصرًا على الجانبِ السلبي، وإنما قاسمه الجانبُ الإيجابي، ويكفي شاهدًا على ذلك تعقيبه على توجيهِ الإمامِ **أبي السعود** لتوسطِ الظرفِ بين "**لولا**" وفعلِها في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

---

(١) ينظر: الإيضاح ٢٥٣.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ٢/ (٢٨٨: ٢٨٩).

(٣) صحيح البخاري، البخاري ت محمد زهير بن ناصر الناصر، باب: "ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس (٢٧٣٦) ٣/ ١٩٨، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ .

(٤) سور: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة.

(٥) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٢٠٢.

﴿بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ سورة النور الآية (١٢)، حيث قالَ **الإمامُ:** "وتوسيط الظرفِ بين "**لولا**" وفعلها لتخصيصِ التحضيضِ بأولِ زمانِ سماعِهم، وقصر التوبيخِ على تأخيرِ الإتيان بالمحضضِ عليه إلى ذلك الأوان، والتردد فيه؛ ليفيد أن عدمَ الإتيانِ به رأسًا في غايةِ ما يكون من القباحةِ والشناعة"[(١)]، **مفتتحًا حديثه** بقولِه: ومن روائع ما ذكرَه العلامةُ أبو السعود، ثم **عقَّبَ** بقوله: وهذا فهمٌ صادقٌ لكلامِ الله الجزلِ، نرى فيه **أبا السعود** لم يكتف بإرجاعِ التوسطِ الظرفي إلى سببٍ واحدٍ، بل أرجعَه إلى ثلاثةِ أسباب ... وهو صائبُ الرأي في هذا، وهو ينحو هذا المنحى العذب في تحليلِه البياني لكتابِ الله الكريم[(٢)].

فلننظر كيف امتدحَ فكرَه، وحُسنَ فقهه كتابَ الله، مُوافقه الرأي كاشفًا بنظرِه الثاقبِ عن سِمةٍ من سماتِ الإمامِ التزمها في التحليلِ لآيات الذكرِ الحكيم.

٦ـ الموازنةُ والترجيحُ.

يترقى الشيخُ في مداركِ الفقهِ والتدبرِ لأقوالِ العلماء الأثبات، فيتراءى له تفاوت قيمتِها قربًا وبعدًا من إصابةِ المفصلِ؛ ومن ثم يعمدُ إلى عقدِ الموازنة بينها، متجاوزًا ذلك إلى حدِ الترجيح، وقد سلكَ الشيخُ في موازنتِه طرائقَ متعددة:

تجدُ الشيخَ تارةً يعقدُ **الموازنةَ بين نتاجِ عقلِ الفرد**، لاسيما في مقامِ التحليلِ والتوجيهِ، يشهدُ لذلك عرضه قول **الزمخشري** عند بيانِ نوعِ المجازِ في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾ سورة البقرة الآية (٧)، إذ ذهبَ إلى أنه يحتملُ أن يكونَ من كلا نوعيه: الاستعارة المفردة، أو الاستعارة التمثيلية، أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا

(١) إرشاد العقل السليم ٦/ ١٦١.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ٢/١٤٠.

تجتلى آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطى عليها وحجبت، وحيل بينها وبين الإدراك، وأمّا التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلِها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية [(١)]، وقد **وازنَ الشيخُ وحكمَ** على كلا المذهبين بالحُسنِ، مشفعًا ذلك بالترجيحِ متخذًا من الذوقِ مقياسًا وسندًا قائلًا: "وكلا المعنيين حَسن، وإن كان الذوقُ يميل إلى اعتبارِ المجازِ المفردِ فيها دون المركبِ"[(٢)]، **والرأي معه رضي الله عنه**، حيث قُصد بيان استحكام عدم التأثر، والاستغلاق التام لمنافذ التأثير، الأمر الذي تسبب في استواء الإنذار وعدمه؛ ومن ثمَّ انتفاء الإيمان، وهو ما صرحت به الآية السابقة في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ سورة البقرة الآية (٦).

وتارةً يكونُ طرفا **الموازنة ما جادت به قريحةُ عالمين**، نحو ما أورده من قولي **الزركشي والزمخشري** في شأنِ توجيه تكرار القصةِ في القرآنِ إذ يقولُ **الزركشي**: "إن عادةَ العربِ في خطاباتِها إذا اهتمت بشيءٍ أرادت تحقيقَه، وقربَ وقوعِه أو قصدت الدعاءَ إليه كررته توكيدًا، وكأنها تقيمُ تكراره مقام المقسمِ عليه، أو الاجتهاد في الدعاءِ بحيث تقصدُ الدعاء، وإنما نزلَ القرآن بلسانِهم، وكانت مخاطباته فيما بين بعضِهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكمُ الحجةُ عليهم في عجزِهم عن المعارضة"[(٣)].

وقال **الزمخشري**: "إن في التكريرِ تقريرًا للمعاني في الأنفسِ، وتثبيتًا لها في الصدورِ، ألا ترى أنه لا طريقَ إلى تحفظِ العلومِ إلا ترديدَ ما يُرام تحفظه منها،

---

(١) ينظر: الكشاف ١/(٤٨: ٤٩).

(٢) خصائص التعبير ٢/٢٩٦.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣/٩.

وكلما زادَ ترديده كان أمكن له في القلوبِ، وأرسخ له في الفهمِ، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان"[١].

حيث حكم بأن رأي **الزمخشري** يقربُ من رأي **الزركشي** لكنه أعمقُ فهمًا منه[٢]، والشيخُ **قد وفق** في بيان وجه المفاضلة أيما توفيق، حيث كانَ رأيُ **الزمخشري** أكثرَ إيضاحًا وتفصيلًا للأثرِ النفسي المترتب على التكرارِ، محاولًا شحذ العقولِ، وإقناعها بدليل واقعي متفق عليه، **ومع ذلك** تجد أن الشيخ جعل رأي المتأخر زمنًا(الزركشي) كأنه المنبع الذي يُستقى منه بدليل البدء بذكره، ونهج تعقيبه، والواقع يخالف ذلك[٣].

ويتجاوزُ ذلك إلى الموازنةِ بين أكثرِ من قولين، مرجحًا بينها[٤].

ويتسعُ أفقُ الشيخِ فيوازن بين مناهجِ العلماء في تناولِ مسألةٍ أو قضيةٍ ما، وشاهدُ صدق على ذلك ما عقده من موازنةٍ بين مناهج البلاغيين، وابن الصائغ الحنفي، وابن الأثير، والمفسرين في تناولِ قضيةِ التقديم، مميطًا اللثامَ عما يتميزُ به كل منهجٍ، وما لحقه من قصور[٥].

٧_ الثناءُ على أقوالِ العلماء.

الاعترافُ بالفضلِ والسبقِ من مظاهرِ الإنصافِ، وشيمة من شيمِ الكرامِ تحلى بها الشيخُ **عندما كان يروقُ له رأي، أو تحليل، أو توجيه، أو نقد**، وهو في ثنائهِ يحاولُ جاهدًا تسليطَ الضوءِ على مواطنِ الحسنِ والاستحقاقِ، وكأنه يدعو من وراءِ

(١) الكشاف ٣/٣٣٤.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٣٣٥.

(٣) توفي الزمخشري عام ٥٣٨هـ، والزركشي عام٧٩٤هـ.

(٤) ينظر: خصائص التعبير ٢/٤٢١.

(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/(١٢٢: ١٢٤)، ١٤٥.

حجاب إلى مشاركتِه المذهب، ومن جانبٍ آخر يكشفُ عن وعيه الشديد، وفقهِه الجيدِ لكلامهم، وقد تناثرَ ذلك بكثرةٍ في سِفرِه المبارك.

من ذلك قولُه في شأنِ د/ **عبد الله دراز** عندما سطَّرَ كلماتٍ تُكتب بماءِ الذهبِ في شأنِ تأثيرِ النغمِ القرآني : "هذا كلامٌ حقٌ، ووصفٌ دقيقٌ يمسه كل عاقل متأمل في كتابِ الله"(١)، اعترافًا منه بقيمةِ ما أودعه.

وقوله **معقِّبًا** على القولِ بأن مرد افتتاحِ بعض السورِ بالحروفِ المقطعة إظهارُ وجهِ إعجازِ القرآن، وتحديه العرب: "هذا الرأي أبعدُ ما يكون من النقدِ فضلًا عن لياقتِه بجلالِ القرآن ووجوه الإعجازِ البياني فيه"(٢).

وقولُه ممتدحًا القولَ ببناءِ النظمِ القرآني وَفق روابط وعلائق تُجلي التناسب بين أجزائِه: "هذا هو الرأي الصائب الذي عليه جلة العلماء وفضلاؤهم، والذي يؤيده الواقعُ، وتنطقُ به الآيات"(٣).

ويسلكُ هذا المسلك عندما يهتزُ طربًا لتحليلٍ أو نقدِ بعض العلماء، مثل قوله: "والحقُ أن ما ذكره **الزمخشري** كلامٌ في منتهى الجودة"(٤)، وقوله : "وقد وُفق ابن الصائغ أيما توفيق في توجيه التقديمِ في قوله ... "(٥)، وقوله: "وهذا نقدٌ وجيه نحمدُه للخطيب"(٦)، وقوله مثنيًا على نقدِ أبي هلال العسكري: "وهذه لمحةٌ نقديةٌ بارعةٌ"(٧).

---

(١) خصائص التعبير ٣٠١/١.

(٢) المرجع السابق ٢٠٦/١.

(٣) المرجع السابق ٣٩٩/١.

(٤) المرجع السابق ٢٤٦/٢.

(٥) المرجع السابق ١١٧/٢.

(٦) المرجع السابق ١٠٠/٢.

(٧) المرجع السابق ٤١٥/٢.

ويتجاوزُ ذلك إلى **امتداحِ منهجِ العالم** في تناولِ المسألة، نحو امتداحه كلام **ابن الأثير** في معالجةِ قضيةِ الترابطِ بين آي القرآن حيث قال: " **وابن الأثير** موفقٌ كل التوفيق فيما أوضحه"[١]، حتى في مقامِ الاستدراك يعطي كلَ ذي حق حقَه[٢].

ومن مظاهرِ الإنصافِ الاعترافُ بفضلِ السبق، من ذلك قولُه عند الحديثِ عن التعالقِ الشديدِ بين افتتاح السورِ بالحروفِ المقطعةِ وحديثِها عن القرآن الكريمِ: "وقد تنبه العلماءُ قديمًا إلى هذه الظاهرةِ كالرازي[٣]، والزركشي[٤]، وغيرِهما"[٥].

٨_ التأدب مع المخالف.

العلماءُ الأثباتُ كالنجومِ التي يُهتدى بها، حقهم التوقيرُ والتكريمُ؛ ومن ثم التزام التأدبِ معهم، وقد امتثلَ الشيخُ ذلك فالتزمَ التأدبَ مع مَنْ عَنَّ له معه مخالفة في مذهبِه، ومن مظاهر ذلك:

تجنبُ التصريحِ بالاسمِ إذا لم يكن له سابقُ ذكرٍ مثل قولِه: "وقد غفلَ أحدُ الباحثين عن هذا التوجيه عند حديثِه عن الفروقِ بين الكلمتين في الاستعمالِ القرآني"[٦]، وقوله: "وقد وهمَ بعضُ المعاصرين فقال: إنَّ تشبيهاتِ القرآنِ تقف عند هذين القسمين..." [٧]، وقوله: "ولستُ مع بعضِ المفسرين والكتَّاب الذين..."[٨]،

---

(١) خصائص التعبير ١/٤٠٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/ ١٣٦، ٢/ ١٧.

(٣) ينظر: التفسير الكبير الرازي ٦/ ٦٤٤.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٧٠ .

(٥) خصائص التعبير ١/ ٢٠٤.

(٦) المرجع السابق ١/٢٥٠.

(٧) المرجع السابق ٢/ ٢٨٦.

(٨) المرجع السابق ١/ ٤٤٦.

وإن وردَ له ذكرٌ **التزمَ التلطفَ في الخطابِ**، وتجنبَ التشنيعَ والقدحَ نحو قوله: وقد قصرَ الدكتور أحمد بدوي إذ يقول..."، كاشفًا عن سببِ ذلك(١).

وتارةً يتخذُ من **توجيهِ الأسئلة** خير سبيل للتلطفِ، كقولِه: كيف ساغ لابن الصائغ أن يزعمَ أن الإنسَ يأتي مقدمًا على الجنِ في القرآنِ الحكيم في كل موضع اجتمعا فيه؟، وكيف جازَ للسيوطي أن يتابعَه على هذا، وهو العالمُ المحررُ المدققُ، دون أن يشيرَ إلى وجهِ الخطأ فيه؟(٢)، **وقوله:** "فهل لقولِ من يرى أن تشبيهاتِ القرآنِ محصورةٌ بين تشبيه المحسوس بالمحسوسِ والمعقول بالمحسوسِ نصيبٌ من الصحة؟"(٣).

وتارةً أخرى يحاولُ **التماسَ المعذرة**، والكشفَ عن الباعثِ الذي دفعَهم إلى ذلك نحو قوله: وقد خالفَ فريقٌ من الباحثين _ بحُسنِ نيةٍ وضعفِ إدراك _ما أجمعَ عليه السلفُ والخلفُ _بناء النظمِ القرآني وفق وشائج قوية_، فادعوا غيرَ ذلك، راسمًا خطى المنهجِ الأمثلِ الذي كان يجبُ أن يمتثلوه، إذ يقول: ولو أنهما _ الغانمي والعز بن عبد السلام_ لجأ إلى الفكرِ، وأحسنا النظرَ بدراسةِ عقدِ المعاني في القرآنِ نفسه لرجعا عما قالاه...(٤).

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/(١١٤: ١١٥).

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٨٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق ١/ (٣٩٩: ٤٠٠).

المبحث الثالث

منهجُ الشيخِ في اعتمادِ النظرة الكلية

النظرةُ الكليةُ مسلكٌ عربي أصيلٌ انتهجه جمعٌ غفيرٌ من العلماء الأثباتِ أمثال الجاحظ[١]، والعسكري[٢]، وعبد القاهر الجرجاني[٣]،والحرالي[٤]، والقرطاجني[٥] والزركشي[٦]، والبقاعي[٧]، وغيرهم كثير، وقد اقتفى الشيخُ في ذلك آثارَهم، واهتدى بخطاهم، أعانَه على ذلك ما كان يتمتعُ به من نظرٍ ثاقبٍ، واطلاعٍ وتأملٍ ورويةٍ، وإحاطةٍ بالغةٍ، فقد كان من المتمرسين على استنباطِ القواعد.

وقد اتخذَ الشيخُ **النظرةَ الكلية** مطيةً لتأسيسِ أحكام كلية، لاسيما ما اعتمد فيه على التتبعِ والاستقصاءِ للألفاظِ أو طرائقِ التعبير، والعَلَمُ الذي كان يتهدى به ما أطلق عليه منهجَ الالتزام[٨]، كالتزامِ استعمالِ النظم القرآني بعض الألفاظِ على بنيةٍ معينةٍ، إفرادًا كلفظِ "**الشمس**"، أو جمعًا كلفظِ "**الظلمات**"، أو تعريفًا كلفظِ

---

(١) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ ١/ ٤١ دار ومكتبة الهلال بيروت ١٤٢٣هـ .

(٢) ينظر: كتاب الصناعتين ٦٩.

(٣) ينظر: أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، ت محمود شاكر ٩٧، دار المدني بجدة ط الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(٤) ينظر: تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، ت محمادي عبد السلام الخياطي، ٢٤ مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط الأولى ١٤١٨هـ /١٩٩٦م.

(٥) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ت محمد الحبيب بن الخوجة، ١٨٢ الدار العربية للكتاب تونس، ط الثالثة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٠.

(٧) ينظر: نظم الدرر ١/ (١١: ١٢).

(٨) سمى الشيخ هذا المنحى في سفره موضع الدراسة "منهج الالتزام" ١/ ٢٧٨، ونظرية الالتزام ٢٨٢/١"، ثم عدل عن مصطلح "نظرية" فيما ألَّفَ بعد ذلك مستخدمًا نحو لفظ "الإيثار" متعللًا بتنزيه القرآن عن استعمال كلمة "نظرية" التي تستخدم في حقل العلوم التجريبية، ينظر: من جهود الشيخ أ.د/ عبد العظيم المطعني في التجديد البلاغي ٢٥٦.

"**الصدور**"، أو تنكيرًا كلفظِ "**شيء**"، أو إثباتًا مثل لفظِ "**طبع**" في مواضعِ الذم، أو نفيًا كلفظ "**يشعرون**"، أو دلالة اللفظِ على معنى معين(١).

أو التزام طريقةِ تعبيرٍ معينةٍ في مقام خاص، كالتزامِ التلطفِ في عتابِ النبيﷺ نحو قوله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾ سورة عبس الآيات (١: ١٠)، ولطفُ العتابِ مع الرسولِ أمرٌ ملحوظٌ في القرآنِ، يشهدُ لذلك قولُه أيضًا: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**﴾ سورة التوبة الآية (٤٣)(٢).

ومن جانبٍ آخر يتخذُ النظرةَ الكليةَ أداةً **لاستنباطِ سماتٍ خاصةٍ** إما يمتازُ بها فنٌ بلاغي كالتشبيهِ القرآني(٣)، والحذفِ القرآني(٤)، والمجازِ القرآني(٥)، أو سماتٍ مشتركةٍ تحكمُ طائفةً من السورِ القرآنيةِ كمراعاةِ نسقٍ معينٍ مثل التكرارِ في بناءِ بعضِ السورِ كسورةِ القمر، والرحمن ، والمرسلات(٦).

والشيخُ في تأصيلِ أحكامِه يتسعُ أفقُه، **فيشيرُ في بعضِ المواضعِ إلى ما يخالفُ ذلك** كصنيعِه عند الحديثِ عن خصائصِ السورِ القرآنيةِ المفتتحةِ بأسلوبِ الشرط، من جهةِ أن الحديثَ فيها عن مشهدٍ من مشاهدِ القيامة، أو عن أمرٍ يتكررُ من مظاهرِ الطبيعةِ، وسنةِ اللهِ في الكونِ، أو عن مصيرٍ محتومٍ أو ما قاربَ ذلك؛ ومن ثمَّ فالأداة المفضلة هي "**إذا**" المؤذنة بتحقيقِ شرطِها وجوابِها نحو

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/(٢٧٨: ٢٩٦).
(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ (٢٧٤: ٢٧٥).
(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/(٢٧٩: ٢٩٢).
(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/(٧٥: ٧٧).
(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/(٣٩٧: ٤٠١).
(٦) ينظر: المرجع السابق ١/٣٢٥.

قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ سورة التكوير الآية (١)، وقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ سورة الزلزلة الآية (١)، وقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ سورة النصر الآية (١)، متجاوزًا ذلك إلى ما يقتضيه خروجُ النظمِ عن هذه المواقف وأشباهها، حيثُ يفسحُ المجال أمامَ أدواتِ الشرطِ غير "**إذا**" كل حسب ما يقتضيه المقامُ نحو قولِه تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة المنافقون الآية (٨)، حيث اختلفت أداةُ الشرطِ "**إنْ**" لاختلافِ الغرضِ؛ إذ المراد حكاية حالِ للمنافقين، وهم غير ضامني رجوعِهم إلى المدينةِ، وذلك _في تصورهم_ لو حدث لترتب عليه ما دبروه من آثار[(١)].

وتارةً يكونُ منبعُ النظرةِ الكليةِ **التنوعَ في زاويةِ الرؤيةِ** بمعالجةِ ما يعرضُ له من جوانب متعددة، يشهدُ لذلك صنيعُه عند بيانِ ما يختصُ به اللفظُ القرآني، حيث سلَّطَ الضوءَ على عدةِ مظاهر متنوعة بصورةٍ مفصلةٍ تتمثلُ في:

١_ روعةِ اللفظِ القرآني في نفسِه. ٢_إصابتِه المقتلِ في الدلالةِ على المعنى.

٣_ خاصتِه التعبيرية في القرآن[(٢)].

وقد يتحققُ ذلك **باستيفاءِ جميع الأقسامِ**، وتجلى ذلك بوضوحٍ عند معالجةِ الشيخِ قضيةَ الحذفِ القرآني، لاسيما عند تعيينِ المحذوفِ، حيث شملت إشارتُه جميعَ لبناتِ النظمِ سالكًا مسلكَ التدرجِ مبتدئًا بحذفِ الحرفِ سواء أكان من بنيةِ الكلمة أم من خارجِها كحرفِ النداء، أو حرفِ العطفِ، وكذا الشأن في حذفِ الكلمةِ، حيث شملَ العديد من صورِها المتعددةِ من حذفِ الفعلِ، أو الفاعلِ، أو المفعولِ، أو المبتدأِ، أو الخبرِ، أو المضافِ، أو المضاف إليهِ، أو الصفةِ، أو

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/(٢٠٧: ٢١٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/(٢٤٥: ٢٦٦).

الموصوفِ، أو الحالِ، أو التمييزِ، وما يقومُ مقام المفردِ، متجاوزًا ذلك إلى حذفِ الجملةِ والجملِ، وبيان مواضع اطراد كل منها(١).

ويعتمدُ الشيخُ **النظرةَ الكليةَ أساسًا رئيسًا في التحليلِ** ابتداءً من استجلاءِ أوجه التعالقِ والترابطِ بين أجزاءِ نظمِ النصِ، متجاوزًا ذلك إلى نسيجِ السورةِ، وما يكتنفُها سباقًا ولحاقًا بالغًا الغاية باستجلاءِ ذلك في النسيجِ الكلي للقرآنِ الكريم، كما يعمدُ إلى ذلك أيضًا عند رَومِ تتبعِ فنٍ بلاغي واحد، أو فنون متعددة في بناءِ النص(٢).

وفي كثيرٍ من المواضع تكونُ النظرةُ الكليةُ **باعثًا على الموازنةِ والتقييمِ** لطرائقِ التعبيرِ المتنوعة في النظمِ المعجزِ، وبيان ما تتَّسمُ به؛ إذ يعتمدُ ذلك على تأمل ومراجعة ما يختصُ به كلا الطرفين، حيث اتخذَها الشيخُ خيرَ معين على المقارنةِ بين المردودِ النفسي للكناياتِ القرآنية، التي يكنى بها عما يكون بين الرجلِ والمرأةِ في صورتيه: الحلالِ والحرامِ، مستعرضًا تلك المواضع، حيث تجدُ ما أطلقَه القرآنُ على الحلالِ كلماتٍ تبعث في النفسِ الرغبةَ والارتياحَ نحو قولِه تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ سورة البقرة الآية (٢٢٢)، وقولِه: ﴿**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ سورة النساء الآية (٤٣)، وما أطلقه على الحرامِ كلماتٍ تثيرُ في النفسِ شعورَ النفرةِ والارتياعِ نحو ما ورد في قوله: ﴿**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ**﴾ سورة النور الآية (٣٣)، وقولِه:﴿**مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ**﴾ سورة المائدة الآية (٥) (٣).

أو الموازنة بين النظمِ القرآني والنظمِ البشري، يشهدُ لذلك قولُه: وصفَ القرآنُ النساءَ لغايةٍ دينيةٍ؛ إذ بها يحفظُ الرجلُ نفسَه ودينَه من الوقوعِ في المحظورِ، والقرآنُ لم يصف جمالَها الحسي، وإنما وصف جمالَها النفسي المعنوي، وبذلك

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/(٦: ٦٩).
(٢) ينظر: من البحث ص (١٠٣٥: ١٠٣٦).
(٣) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٢٥٥: ٢٥٧).

يفارقُ وصف المرأةِ في القرآنِ ما دأبَ عليه الشعرُ الجاهلي من الأوصافِ الحسية، والالتذاذِ المادي الوضيعِ، وعليه جاء قولُ النابغة الجعدي:

إذَا مَا الضَجِيعُ ثَنَى جِيْدَهَا تَثَّنَت عليه فكانَتْ لِبَاسًا[1]

وقد شبههن القرآنُ باللباسِ مرةً فقال: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾ سورة البقرة الآية (١٨٧)، والفرقُ بين التعبيرِ القرآني وبين قولِ الشاعرِ أن المرادَ باللباسِ في القرآنِ معناه المجازي بكل ما يحملُ اللفظُ، أما في قولِ الشاعرِ فإن اللباسَ مرادٌ به معنى حسي مكشوف؛ لهذه المعاني شبَّهَ القرآنُ النساءَ باللباسِ للرجال، ثم شبَّهَ الرجالَ باللباسِ لهم؛ لأن كلا منهما يحفظُ الآخر، ويحميه ويزينه[2].

ويتخذُ الشيخُ من هذا المسلكِ أيضًا سبيلًا لدفعِ توهم، أو ردِ شبهة؛ إذ يتكئ على حججٍ داحضةٍ لا تقبل شكًا.

---

(١) ديوان النابغة الجعدي، جمع وتحقيق واضح الصمد، ١٠٠، دار صادر بيروت، ط الأولى ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ٢٤١ .

المبحث الرابع

منهجُ الشيخِ في العنايةِ بتحريكِ عقلِ المخاطب

سلكَ الشيخُ مسلكَ السابقين من البلاغيين والنقادِ أمثال ابن طباطبا[١]، والعسكري[٢]،وعبدً القاهر الجرجاني[٣]، والزمخشري[٤]،والقرطاجني[٥]، في وضعِ المخاطبِ نُصبَ العين باعتباره أحد عناصرِ العمليةِ الإبداعيةِ، وإبراز دورِه المؤثر في التواصلِ الجيدِ.

وقد سعى الشيخُ سعيًا حثيثًا إلى تحريكِ عقل المخاطبِ، واستنهاضِ همتِه وتوجيهِه، هذا من جانبٍ ومن جانبٍ آخر صقل ما يتمتعُ به من قدراتٍ ذهنيةٍ؛ ومن ثم حرصَ على جعلِه مشاركًا له عند رومِ الضبطِ، أو التحليلِ، أو النقدِ، أو الاستنتاجِ متخذًا في سبيلِ تحقيقِ ذلك طرائق متعددة منها:

كثرةُ مخاطبتِه ودعوتِه إلى التأملِ والتدبرِ الجزئي والكلي لمواطنِ الاستشهاد، أو فقهِ كلام العلماء، فلم يجعله بمعزلٍ عما يريدُ تقريرَه، وإنما كان يأخذُ بيدِه شيئًا فشيئًا، محاولًا استثارة بواعثِ التفكيرِ، وهو مسلكٌ متبعٌ لدى السابقين، فتراه كثيرًا ما يلتفتُ إلى المخاطبِ محاورًا إياه **قائلًا:** "وتأمل الصورةَ تأملًا تدرك منه سرَ اختيارِ هذه الكلمات..."[٦]، **وقوله:** "فأنت ترى من هذا العرض أن هذه المادة "**فرج**" تطلقُ

(١) ينظر: عيار الشعر، ابن طباطبا، ت عبد العزيز بن ناصر المانع، ٢٠٩، مكتبة الخانجي القاهرة بدون.

(٢) ينظر: كتاب الصناعتين ١٦.

(٣) ينظر: أسرار البلاغة ٩٤، ٣٠٦.

(٤) ينظر: الكشاف ٤٢/١.

(٥) ينظر: منهاج البلغاء ٣٥٨.

(٦) خصائص التعبير ٢٦٤/١.

على عدةِ معان..."[١]، **وقوله:** "إنك لو ذهبتَ تضعُ لفظًا في القرآنِ بدل لفظٍ طلبتَ محالًا..." [٢]، وغير ذلك كثير.

وتارةً ينحو في دعوتِه إلى التأملِ مسلكًا مغايرًا عماده **التتبعُ والاستقصاءُ** للوصولِ إلى النتائج نحو **قوله:** "ويسيرٌ من النظر يبين أن الحروفَ التي بدأتْ بها هذه السور بعد حذفِ المكررِ أربعةَ عشرَ حرفًا"[٣]، **وقوله:** "وهكذا لو تتبعنا آي السورة كلها..."[٤].

ويتخذُ الشيخُ من **طرحِ الأسئلة** خيرَ معين على تحريكِ عقلِ المخاطب؛ ومن ثم استدراجه كما جاءَ في **قولِه:** "أرأيت حوارًا مثل هذا الحوار...؟"[٥]، وانعكاسًا لإدراكِه الجيدِ بالقيمةِ الإيجابيةِ لهذا المسلك يجعله في كثيرٍ من المواضعِ عنوانًا فرعيًا، ويردُ ذلك فيما يعظمُ أثرُه، ويكونُ مفصل القول، مثل **قوله:** "لماذا اختلفت أساليبُ الحكاية والمحكي عنه واحد؟"[٦]، **وقوله:** "لماذا كان المعنى في القرآن ثريًا؟"[٧]، **وقوله:** "هل في القرآن اقتضاب؟"[٨]، وقوله: "لماذا يستخدمُ القرآن المصدرَ المؤول؟"[٩].

---

(١) خصائص التعبير ١/٢٥٩.
(٢) المرجع السابق ١/٣٩١.
(٣) المرجع السابق ١/١٩٦.
(٤) المرجع السابق ١/٢٤٠.
(٥) المرجع السابق ١/٤٣٦.
(٦) المرجع السابق ١/٣٦٥.
(٧) المرجع السابق ١/٣٦٨.
(٨) المرجع السابق ١/٣٩٩.
(٩) المرجع السابق ٢/٢٩٥.

وهو في مسلكه ذلك تارةً يقرنُ السؤالَ بالجوابِ منه[١] أو من غيرِه[٢]، وأخرى يفسحُ المجالَ للاستنباط[٣]، ويطَّردُ ورود ذلك بين ثنايا التحليلِ متخذه أداةً لفتقِ أكمامه، وذريعةً لشحذِ القرائح؛ ومن ثم تحقيق التجاوب والمشاركة، كما يطَّرد وروده عقِب التحليلِ، وكأنه يريدُ أن يوصدَ البابَ أمام أدنى ترددٍ أو إنكار، حيث صار الأمرُ كالشمس في كبدِ السماء وضوحًا.

ومما له بذلك صلةٌ ونسبٌ ما اطَّرد بين دفتي السِفرِ **من افتراضِ الشيخِ شبهة مردودة، أو عرض وهم مدفوع**، كصنيع السابقين أمثال عبد القاهر الجرجاني[٤]، والرازي[٥]، إذ يكون في ذلك دعوةٌ صريحةٌ إلى المشاركةِ في الردِ والدفعِ، حيث يقومُ عرضُ الشبه ودحضُها على المحاورةِ والتساؤلِ[٦].

ولشعورِ الشيخِ بالتجاوبِ الإيجابي للمخاطبِ، ووعيهِ الدقيقِ يُسند إليه دورًا مهمًا عماده **الموازنة والتقييم والاستنتاج**؛ إذ لا ينجم ذلك إلا إثر إعمالِ الفكرِ والرويةِ فضلًا عن تطويعِ مهاراتِه العقليةِ، وخبراتِه العلميةِ نحو ما ورد في **قوله:** "قارن بين كنايات النوعين..." [٧]، **وقوله:** "ولنوازن بين هذه الصورِ الثلاث..."[٨]، وطلبه الموازنة بين الاستعمالِ القرآني لكلمتي "**أب، ووالد**"، واستعمالِ البشرِ لهما حيث لا تفرقة بينهما عندهم، بخلافِ الاستعمالِ القرآني إذ لم يطلق كلمة "الوالد" على الأبِ الذكرِ إذا ذكره منفردًا أو مجموعًا جمعًا مقصودًا به الذكور دون الإناثِ، بل يطلقُ عليه أو عليهم كلمتي "الأب"، و"الآباء"[٩].

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/٤١٥، ١/ ٤٤٨، ٢/ ٢٩٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/٣٨٢، ١/ ٣٨٨.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١/٤٤٠.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز (١٦٦: ١٦٧).

(٥) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ١٨/ ٤٢٤، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٦) ينظر: خصائص التعبير ١/٢٥٧.

(٧) المرجع السابق ١/ ٢٥٧.

(٨) المرجع السابق ١/ ٤٧١.

(٩) ينظر: المرجع السابق ١/(٢٨٣: ٢٨٦).

ويبلغُ الأمرُ غايته عندما يعمدُ الشيخُ إلى قدحِ زنادِ عقلِ المخاطب بدعوتِه إلى **البحثِ والدراسةِ لفكرةٍ ما**، حيث يصرحُ كثيرًا بمثلِ **قوله:** "وهذه فكرةٌ أطرحها للدراسةِ والبحثِ الأوسع..."[١]، **وقوله** في شأنِ التكرارِ الواردِ في سورة "**القمر**": "وهذه دعوةٌ صالحةٌ للتأملِ فيما يسوقُه اللهُ من قصص"[٢].

ويتجلى تحريكُ العقلِ عند طرقِ باب **القياسِ** الذي يتخذه مطيةً في الاستشهادِ، والتحليلِ، والتوجيهِ، وهو أمرٌ كثيرُ الورودِ نحو **قوله:** "ولك أن تقيسَ على هاتين الكلمتين..." [٣]، **وقوله:** "هذا قياسٌ مطَّردٌ في كل ما كان شأنه كذلك"[٤]، وتتنوعُ جهاتُ القياسِ التي اعتمدَها الشيخُ كقياس النظائرِ في القرآنِ الحكيم[٥]، وموافقة بناءِ النظم المعجزِ لسَننِ العربِ في كلامِهم[٦].

وفي كثيرٍ من المواضع يسلك الشيخ مسلكَ **التوجيهِ والإرشاد** إلى ثلةٍ من الضوابطِ والأسسِ التي ينبغي الالتزام بها نحو **قوله** عند بيانِ الوظيفةِ المعنويةِ للفواصل: "لابد للباحثِ عند الكشفِ عن وظيفةِ الفواصل من حيث المعنى أن يتتبعَ جميعَ فواصل الآي حتى يتسنَّى له أن يحصلَ على نتائج وقوانين لهذه الوظيفة"[٧]، **وقوله** مرشدًا في موضعٍ آخر: "إن المنهجَ القرآني يسيرُ على اعتباراتٍ دقيقةٍ في بناءِ القصة، وائتلاف أجزائِها، وتظهرُ هذه الجوانب الحكيمة كلما أطالَ الباحثُ النظرَ في نصوصِه، وقارنَ، ودرسَ، واستنتجَ"[٨].

---

(١) خصائص التعبير ١/٢٣٥.
(٢) المرجع السابق ١/٣٢٨.
(٣) المرجع السابق ١/٢٥٢.
(٤) المرجع السابق ٢/٣١.
(٥) ينظر: المرجع السابق ١/٢٣٩، ٢/ ٦٠.
(٦) ينظر: المرجع السابق ٢/٤٤.
(٧) المرجع السابق ١/ ٢٢٦.
(٨) المرجع السابق ١/٣٦٤.

المبحث الخامس

منهجُ الشيخِ في الاتكاءِ على النزعةِ النفسية

زخرَ هذا السِفرُ المبارك بكثيرٍ من اللمحاتِ النفسيةِ التي تعددت وتنوعت مظاهرُها، والتي تُنبئ عن حسٍ مرهفٍ، ووعيٍ دقيقٍ بخبايا النفوسِ وطبائعها، وحقائقِ الأشياءِ ومكنوناتِها، فتجد الشيخَ كثيرًا ما يحتفي بإبرازِ الأثرِ النفسي للأسلوبِ البلاغي، وبيانِ ترجمانه عما يتجلجلُ في الضمائر، وشاهدُ صدقٍ على ذلك حديثه عن المردودِ النفسي **لأسلوبِ الشرط** إذ يقولُ: "الأسلوبُ الشرطي يمتازُ بربطِه بين أجزاءِ الكلامِ ربطًا ملاحظًا فيه ترتيب المسببِ على السببِ؛ فإذا ذكرت أداةَ الشرط، وأردفت بفعلِ الشرط تشوقتْ النفسُ إلى ذكرِ ما سيكون، فإذا ذكر الجوابُ بعد هذه الإثارة وهذا التشويق تمكَّن أيما تمكُّن"[(١)]، وكذا حديثه عن وظيفةِ **التكرارِ** في القرآنِ حيث ذَكرَ أنَّه يؤدي في جميعِ مواضعه إلى تأكيدِ المعاني، وإبرازِها في معرضِ الوضوحِ والبيانِ[(٢)]، ونحو ذلك حديثه عن وظيفةِ **الجناس** إذ يحمل السامع على الإصغاء[(٣)].

ومن الركائزِ المهمةِ التي يعتمدها الشيخُ في **تحليلِه مراعاةُ الجانبِ النفسي** الذي يعدُ سِمَة بارزة اصطبغت بها تحليلاتُه ابتداءً من اللبنةِ الأولى في التركيبِ "**الحرف**"، بل حركة ضبطِ ذاك الحرف، يشهدُ لذلك توجيهه انتهاء فواصل الآيات في أولِ سورةِ "**التكوير**" بالتاءِ الساكنة في **قوله:** ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا**

---

(١) خصائص التعبير ٢٠٨/١.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ ٣٢٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٤٤٢/٢.

﴿أَحْضَرَتْ﴾ سورة التكوير الآيات (١: ١٤)، إذ يقول: ولعل السرَ في ختمِ هذه الفواصل بالتاءِ الساكنةِ المهموسةِ الإشارةُ إلى انقضاء حركةِ الحياة الأولى في الكونِ، والإيذانُ بسيطرةِ الخوفِ والدهشةِ على النفوسِ، والوجوم الذي يغشى الناسَ، وخشعت الأصواتُ للرحمن فلا تسمع إلا همسا، وداعي هذا الخوف المسيطر على النفوسِ أوضاع الكون الغريبة التي صارَ إليها، وليس في النفوسِ البشريةِ استعدادٌ لتحملها في وعي وإدراك(١).

ويسيرُ وَفق هذا الدرب توجيهه **حذفِ حرفِ النفي** في قولِه تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ" سورة يوسف الآية (٨٥)، والتقدير "**لا تفتأ**"، حيث ردَّ ذلك إلى ضيقِ المقامِ؛ لأنَّ الأزماتِ النفسيةِ عند أخوةِ يوسف قد بلغت ذروتها في هذا الموضع(٢)، متجاوزًا ذلك إلى توجيه **اختيارِ لفظٍ معينٍ** كإيثارِ كلمة "**يصطرخون**" في قولِه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ سورة فاطر الآية (٣٦: ٣٧)؛ إذ تبين هذه الكلمةُ جأرَهم باللجوءِ إلى اللهِ أن يخلصَهم مما هم فيه، وهي بجرسِها الغليظِ الصاخبِ ورنينِها الخشنِ الصاك، الذي يكادُ يخترقُ صماخ الأذن تمثل الموقف أدقَ تمثيل؛ ومن ثمَّ تلائمُ جوهم النفسي أدقَ ملاءمة وأبرعها(٣).

ويتجاوزُ الشيخُ ذلك إلى **بناءِ الجمل**، فيراعي الأثرَ النفسي وراءَ حذفِ الجملةِ في قولِه تعالى:﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ سورة الشعراء الآية (٦٣)، إذ التقدير: "فضرب فانفلق"، حيث يشيرُ الحذفُ إلى سرعةِ امتثالِ موسى _عليه السلام_ لأمر ربه، حتى إنَّ الزمنَ بين تلقيه الأمر وتنفيذه لا يكاد يذكر

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٢١١.
(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/٩.
(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٦٣.

لقصرِه، وذلك يكشفُ لنا أنَّ موسى _عليه السلام_ كان متلهفًا لما يشيرُ به ربه في التصرفِ أمام الأزمات(١).

ويمتدُّ الأمرُ إلى مراعاةِ أثرِ ذلك بين **مواضعِ التأنق في بناءِ النظم**، وبيان أوجهِ التعالقِ بينها، يشهدُ لذلك توجيهه سر إيلاءِ الجزاءِ في سورةِ "**الغاشية**" بالآيات الدالة على طلاقةِ القدرةِ في قولِه: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ... وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ *أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...**﴾ سورة الغاشية الآيات (١: ٢٠)، حيث جعلَ مردَّه إلى مراعاةِ الطبيعةِ النفسية، مشيرًا إلى ذلك **بقولِه:** "ولما كان القرآنُ كتابَ هدايةٍ وإرشادٍ، فإن منهجَ التربيةِ الدينيةِ والخلقيةِ فيه يقتضي تقديمَ بعضِ النصح؛ ليهتدي الضال بعد أن بانَ له ما أعد لأمثاله من العذابِ؛ لذلك ناسب أن يلفت القرآنُ أنظارَهم لفتًا قويًا إلى آيات القدرةِ التي تهدي إلى الإيمانِ"(٢).

ولإدراكه الجيدِ لقيمةِ هذا المنحى ووجاهتِه اتخذه الشيخُ مطيةً في التحليلِ والتوجيهِ في مقامِ **المناظرة** بينه وبين غيرِه، ويتجلى ذلك عندَ عرضِ توجيه التقديمِ الواردِ بين قوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ سورة النمل الآيات (٦٧: ٦٨)، وقولِه: ﴿**لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ سورة المؤمنون الآية (٨٣)، حيث قدَّمَ اسمَ الإشارةِ " **هذا**" في موضعِ "**النمل**"، وأخرَ في موضعِ "**المؤمنون**"، وقد ردَّ الإسكافي ذلك إلى المناسبةِ اللفظيةِ التي تتمثلُ في طريقةِ بناءِ الجمل في كل موضع، حيث كان إسنادُ الأفعال إلى فاعليها بدون فصلٍ سمتًا ظاهرًا في الموضعِ الأولِ، بخلافِ بناء النظمِ في الموضعِ الثاني، حيث رُوعي فيه تقديم المفعول وما

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/٧٦.

(٢) المرجع السابق ١/ ٤١٠.

هو مقامه على الفاعل أو ما يعطفُ عليه[١]، بينما ردَّ الشيخُ ذلك إلى مراعاةِ حالِ منكري البعثِ النفسية لحظة نطقهم بكل من العبارتين، حيث كانت درجةُ الإنكارِ في موضع "**النمل**" أقوى مما في موضعِ "**المؤمنون**"؛ ومن ثمَّ قدَّمَ ما هو ألصق بكل حال[٢].

وانعكاسًا لتشربِه هذا المسلك ذهبَ **يتلمَّسه في توجيهاتِ السابقين**، يشهدُ لذلك تحليله توجيه **الخطيب الإسكافي** لتقديمِ الجار والمجرور "**به**" على "**قلوبكم**" في قولِه تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة الأنفال الآيتان (٩: ١٠)، حيث أرجعَ التقديمَ إلى ملحظٍ دقيقٍ هو الحالة النفسية التي كانت تسيطرُ على فكرِ المخاطبين، المتمثلة في التشوقِ إلى الغوثِ، فخاطبهم القرآنُ مراعيًا تلك الحالة، فقدَّمَ ما هو أهم عندهم[٣].

والشيخُ في تحليلاتِه **يشفعُ إبراز الأثر النفسي بما يوضحه ويقرره**، وشاهدُ صدق على ذلك اقتران حديثِه عن بناءِ أسلوبِ الشرطِ ومردودِه النفسي في سورة "**التكوير**" ببناءِ الفاصلةِ على التاءِ الساكنة، وتعاضدهما في إشاعةِ جوٍ نفسي يتلاقى وأحداث السورة[٤].

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه أن الشيخَ لا يقف في استجلاءِ الأثرِ النفسي للبناءِ عندَ حدِ المخاطب، وإنما يتجاوزُ ذلك **إلى حدِ المتكلم**، يدل على ذلك توجيهه سر التغاير في بناءِ النظم بين الاسميةِ والفعليةِ في حديثِ المنافقين في قولِه: ﴿وَإِذَا

---

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، (٣١٧: ٣١٨)، دار الأفاق الجديدة بيروت، ط الربعة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ١٨٥.

(٣) ينظر: درة التنزيل (٧١: ٧٢)، وخصائص التعبير ٢/ ١٧٠.

(٤) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٢٠٨: ٢١١).

﴿لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ سورة البقرة الآية (١٤)، حيث خلا البناء من التوكيدِ مع خطابِ المؤمنين، وبُني النظمُ على التوكيدِ مع خطابِ شياطينهم، مراعاة لحالتِهم النفسية؛ إذ دعوى الإيمان لا تروج من المنافقين، وهم يعلمون ذلك، فأنفسهم _إذن_ لم تساعدهم عليه، أما توكيدهم له مع الشياطين؛ فلأنَّ هذا رائج منهم عند شياطينهم، ولتوافر الرغبة فيه، وكمال العناية به[١].

ويسلكُ الشيخُ في مخاطبةِ الجانب الوجداني مسلكًا مغايرًا، يعتمدُ فيه على طرافةِ منهجِه في عرض ما يَعنُّ له، حيث ينتهجُ تارةً نهجَ **الاستطراد** تطريةً للمخاطب، ودفعًا للسآمة والملل[٢]، وأخرى يسلكُ مسلكَ التوطئة الممهدة، فيبعثُ في النفسِ قدرًا من التشويقِ والترقبِ؛ ومن ثَمَّ تمام التهيوء لتلقي الأثر بالقبول[٣]، وتارةً أخرى يكونُ باعثُ الجانب النفسي التدرج في عرضِ مواطنِ الاستشهادِ[٤].

ومن أكثر المعاني النفسية التي طرقَها الشيخُ: **التعظيمُ**[٥]، **والتهديدُ**[٦]، **والكراهيةُ**[٧]، **والتثبيتُ**[٨]، **والتشويقُ**[٩].

---

(١) استقى الشيخ هذا التوجيه من سابقيه أمثال: الرازي في التفسير الكبير ٢/ ٣٠٩، ينظر: خصائص التعبير ٢/ ٣١٦.

(٢) ينظر: خصائص التعبير ١/ ٣٠١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٤٨.

(٥) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٥٨.

(٦) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٦٧.

(٧) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٥٧.

(٨) ينظر: المرجع السابق ١/ ٤١١.

(٩) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٨٢.

المبحث السادس

منهجُ الشيخِ في التزامِ الدقةِ والوضوح

من سماتِ المنهجِ القويمِ في المؤلفاتِ العلميةِ الدقةُ والوضوحُ التماسًا لتحقيقِ الهدفِ المنشودِ، والوصولِ إلى نتائج مقبولة، وَفق ضوابط منهجيةٍ، وأصولٍ متعارف عليها، وقد بدا أثرُ الدقةِ عند الشيخِ في عدةِ مظاهر من أهمها:

وضعَ الشيخُ نُصبَ عينيه تحري **الدقةِ في النقلِ من المصادر**، ضبطًا، وأمانةً، وفقهًا، وتخصصًا، وتنوعًا، وأدلُ شاهد على ذلك صنيعه عندما **كان يساورُه ريبٌ في نقل أحد العلماء كلام غيره**، حيث حكى السيوطي أنَّ ابن الأثير أنكرَ ورودَ حذفِ بعض أحرفِ الكلمةِ لغيرِ علةٍ صرفيةٍ أو نحويةٍ في القرآنِ الكريم[(١)]، ولم يرق ذلك له، فصرحَ قائلًا: وقد راجعتُ كلامَ ابن الأثير في ذلك فلم أجده قد صرحَ بعدمِ وجودِه بل اكتفى بتعليقِه على بعضِ أمثلتِه من غيرِ القرآن بقولِه: "فهذا وأمثاله مما يقبحُ ولا يَحسن وإن كانت العربُ قد استعملته فإنه لا يجوز لنا أن نستعملَه"[(٢)]، معلقًا بأن ابن الأثير قد جانبَه الصوابُ في ذلك، لورودِ العديد من الشواهد القرآنية[(٣)]، **والحقُ مع ما ذهبَ إليه الشيخُ** للعلة المذكورة نحو قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ سورة الكهف الآية (٣٨)، إذ التقدير: لكن أنا هو الله ربي.

كما تحرى الدقةَ **في فقهِ كلامِ العلماء، وبيانِ المقصود منه**؛ ومن ثم تجنَّب تحريفِ الفكرة، وعرضها في صورةٍ مشوهة، ومن جانبٍ آخر بدا حرصُ الشيخِ

---

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي ١/ ٢٤١، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢) المثل السائر ٢/ ٢٦٠.

(٣) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ٧٠.

على التعقيبِ على كلامِ العلماء بتوضيحِه، أو تحليلِه، أو تقريرِه، أو تلخيصِه، أو بيانِ وجه القصور فيه، أو الإضافةِ إليه، أو غيرِ ذلك[١].

ومما كان موضع عنايتِه دقته في **اختيارِ الموضوعاتِ والقضايا** التي اتخذها مطيةً لتحقيقِ غايته من التأليفِ المتمثلة في إبرازِ خصائصِ النظمِ المعجز، وسماتِه التي امتازَ بها، حيث تتحققُ بغيتُه بصورةٍ جليةٍ كفواتح السور، والفاصلةِ القرآنية، والنغمِ القرآني، والتشبيهِ، والحذفِ، والتقديمِ في النظمِ الحكيم، وغيرِ ذلك، فضلًا عن كون تلك الموضوعات والقضايا كانت ولا زالت مثارَ اهتمام جُل العلماء قديمًا وحديثًا، وهذا يُضفي على مذهبِه في اختيارها سمتَ التقريرِ؛ ومن ثمَّ كان الشيخُ يسعى سعيًا حثيثًا إلى عرضها عرضًا متميزًا وَفق الأطرِ التي ارتسمها، عرضًا اتكأ فيه على التسلسلِ المنطقي، كل فكرةٍ لها من أختها نسبٌ وصلة، وفق روابط متعددة ومتنوعة كروابط العطفِ، والسببيةِ، والاستطرادِ، والتلخيصِ، والاستنتاجِ، وغير ذلك، سالكًا مسلكَ التدرجِ جامعًا بين الإقناعِ والإمتاعِ، وهذا مسلكٌ مطَّردٌ في جميعِ ما عرضَ له.

كما عُني **بعرضِ أفكارِه في موضعِها الأخصِ الأشكلِ بها**، متجنبًا الحشو والتكرار بلا طائل؛ ومن ثمَّ اطَّردت إشاراته إلى التجاوزِ عن تفصيلِ القولِ في فكرةٍ ما، إما لتمامِ التوضيح في موضعٍ سابقٍ، وإما لورودِ ذلك في موضعٍ لاحقٍ، كقوله عند الحديثِ عن التصويرِ والتشخيصِ كخصيصةٍ من خصائص النظم القرآني: "سبقَ الحديثُ عن هذه الطريقةِ في الفصلِ الثالثِ عند دراستنا لألفاظِ القرآنِ، وسيأتي لها تفصيل في مجازاتِ القرآنِ من هذا البحث"[٢]، وقوله: "وسيأتي تفصيلُ ذلك في فصل..."[٣].

---

(١) ينظر: من البحث ص (١٠٥٢: ١٠٥٦).

(٢) خصائص التعبير ١/ ٤٥٨

(٣) المرجع السابق ١/ ٢٨٢.

كذلك انصرفت همةُ الشيخِ إلى العنايةِ **باختيارِ الألفاظِ والتراكيب واصطفائِها**، وقد تجلى أثرُ ذلك في حرصِه على تحريرِ المصطلحات، وما يتصلُ بها من تقسيماتٍ وتفريعاتٍ، وتصفيتِها من كل ما يشوبها، وكذا شغفه بإبرازِ الفوارقِ الدقيقةِ بين المفرداتِ المشتركةِ في المعاني العامة، بإبرازِ ما يختصُ بكل منها في الاستعمالِ القرآني كلفظي: "المرأة، والزوج"[١]، و"نعيم، ونعمة"[٢].

وتروقنا دقته فيما يعرضه من **تحليلِ النصوص** على وجهٍ يُجلي مكنوناتها وأسرارها، تارةً بتتبعِ ما تحتملُه من توجيهات، وأخرى بما يعقده من موازناتٍ بينها وبين نظائرِها، مرجحًا بينها كاشفًا عن ركائزِه التي اتكأ عليها في ذلك، ملتزمًا الموضوعية، متجنبًا اتباع الهوى.

ويبدو أثرُ دقتِه فيما انتهجَه في **مقامِ الاستنتاج**؛ لقيامِه على التتبعِ والتأملِ، وانتقائه من الخصائص ما هو ألصق بتحقيقِ بغيتِه في إبرازِ خصائصِ النظم، نحو ما عرضه من خصائصِ التشبيهِ القرآني[٣]، والطباقِ[٤]، وغيرِ ذلك.

ولما كانت قيمةُ الكلامِ الجيدِ منوطةً بإيضاحِه وإيضاحِ مقاصده، عمدَ الشيخُ إلى امتثالِ هذا النهج في مؤلفه، متجليًا في عدةِ مظاهر منها:

وضوحُ اللغةِ وسهولةُ تراكيبها، متجنبًا بذلك الغرابة والتعقيد، وفق انسجام بديع؛ فلا تجد كلمةً نابيةً عن موضعها، ولا تركيبًا متنافرًا مع جاره، فيتحققُ بذلك التعبيرُ عن الأفكارِ بوضوح؛ ومن ثم الفقه الجيد والاقتناع، فضلًا عن تحققِ التطريةِ والإمتاعِ، وهذا سمتٌ جلي في جميعِ صفحاتِ المؤلف.

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٢٩١: ٢٩٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ (٢٨٧: ٢٩٠).

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٢٧٩: ٢٩٢).

(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٤١٨: ٤١٩).

كما يتبدَّى هذا المسلكُ جليًا في **اقترانِ الأفكارِ والمعاني بما يوضحها** من أمثلةٍ متعددةٍ ومتنوعةٍ، مشفعة بالتحليلِ الوافي الشافي، فلم يترك الشيخُ فكرةً خاليةً مما يوضحُها ويقررُها(١).

ومما يتصلُ بذلك **تعقيبه على أقوالِ العلماء بالشرحِ والتحليلِ**، مسلطًا الضوءَ على أهمِ ركائزِها، وبوجهٍ أعم قد يأتي بتعقيبٍ توضيحي لرؤيتهم حول قضيةٍ ما على اختلافِ مشاربِهم، كصنيعِه بعد عرضِ آراءِ العلماء المتباينة حولَ قضيةِ فواتح السورِ القرآنية بالحروف المقطعة، وبيان سرِ الإعجازِ فيها، وترجيحه أن تلك "الحروف علاماتٌ دالةٌ، ورموزٌ منصوبةٌ فحواها أن هذا القرآن الذي أعجزَ العربَ أمره، وبانَ لهم وجه التحدي فيه ليس بلغةٍ غير لغتهم، بل هو مؤتلف من مادةِ اللغة التي يحذقونها، ويجيدون التباري فيها"(٢)، ثم يُعقِّب على ذلك بمثالٍ توضيحي معنونًا له بقولِه: "**تمثيل وإيضاح**" قائلًا: "ومثله عندي كمثلِ صانعٍ ماهرٍ أعد موادًا مما يراه الصانعون ويألفونه، ويعدون منه أشكالًا متفاوتة في الجودةِ والحُسنِ، كل حسب ما أوتي من مهارةٍ وحذقٍ في الصناعة، فجاء هذا الصانعُ الذي ليس له نظير في الإبداعِ فطرح مواده التي أعدها أمام الصانعين، وصنعَ منها شكلًا يحسونه في هيئتِه ونظامِه ودقتِه أروعَ أمثلة جمال الفن مما ليس لهم قدرة على الإتيانِ بمثِله مع علمِهم بأن موادَه المصنوع منها طوع يدِ الجميع"(٣).

وقد انتهجَ الشيخُ مسلكًا طريفًا غايته الإيضاح يتمثلُ في **اطراد العناوين الفرعية** لما يعرضُه من أفكارٍ رئيسة، سواء أكانت خبرًا، أم استفهامًا، أم تفريعًا، أم غيرَ ذلك، كقولِه: "**آراء العلماء حول السجع في القرآن**"(٤)، و "**وظيفة الفواصل**

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٣٢٢: ٣٢٣).
(٢) المرجع السابق ١/ ٢٠٣.
(٣) المرجع السابق ١/ (٢٠٦: ٢٠٧).
(٤) المرجع السابق ١/ ٢١٩.

اللفظية"[١]، و "**رد جديد على الشبهة**"[٢]، و "**خطأ وقع فيه ابن الصائغ**"[٣]، و "**لماذا يستخدم القرآنُ المصدر المؤول؟**"[٤]، وقد راعى الشيخُ التناسبَ والانسجامَ بين العناوين، وما يندرج تحتها من معانٍ وأفكار.

(١) خصائص التعبير ١/ ٢٢٥.

(٢) المرجع السابق ١/ ٤٠٧.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١١٢.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٢٩٥.

المبحث السابع

اطراد التعريفات والتقسيمات

من السماتِ الجليةِ في منهجِ الشيخِ انصرافُ الهمةِ إلى العنايةِ بالجانبِ المنطقي الذي من مظاهرِه ما ورد بين دفتي هذا السِفر المبارك من تعريفاتٍ وتقسيماتٍ كثيرةٍ، حيث كان الشيخُ حريصًا على **تحريرِ المصطلحات** الواردةِ الأصيلةِ والفرعيةِ تحريرًا دقيقًا مبنيًا على ذكرِ ما استقرَ، أو تتبع ما ورد متعددًا على لسانِ العلماء، كاشفًا عن مواضعِ التلاقي والاختلاف بينها، واقفًا موقفَ الناقدِ والمرجحِ، لاسيما في مقام التأصيل، وبيان وجوه المفارقة، يشهدُ لذلك صنيعُه عند تعريفِ مصطلحِ "**التورية**"، حيث ابتدأَ بذكرِ تعريفِ التورية عند **أبي الإصبع** "أن تكون الكلمةُ تحتمل معنيين، ويستعملُ المتكلمُ أحدَ احتماليها، ويهملُ الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله"[(١)]، **معقِّبًا** بقولِه: " وهذا التعريف فيه طول"، **موازنًا ومقيّمًا** بقولِه: "وأجودُ منه ما ذكرَه **الخطيبُ** "أن يُطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد، ويُراد به البعيد منهما"[(٢)] **معقِّبًا** بقولِه: "وأجودُ منه ما نراه في بحوثِ المحدثين "التوريةُ أن يُذكر لفظ له معنيان بعيد مراد، وقريب غير مراد"[(٣)]، دون أن يذكر مصدر ذلك.

وجديرٌ بالذكرِ أن الشيخَ كان يعنى كثيرًا ببيانِ وجهِ الاختلافِ بين المصطلحاتِ المتشابهةِ كتفريقِه بين **التورية والتوجيه** إذ يقولُ: والفرقُ بينها وبين التوجيه أن المعنيين في التوجيهِ في نحو قول الشاعرِ في أعور: "**ليت عينيه**

---

(١) بديع القرآن ابن أبي الإصبع ١٠٢.

(٢) الإيضاح، الخطيب القزويني ٣٦٤ .

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط يوسف الصميلي ٣٠٠، المكتبة العصرية بيروت، بدون، وينظر: خصائص التعبير ٤٢١/٢.

سواء" على درجةٍ واحدة، لا قرب ولا بعد في أحدهما، أما التورية فأحدُ المعنيين قريب والآخر بعيد، فليسا سواء في التصور[١].

ومما كان موضعُ عنايتِه إبرازَ **وجهِ الترابطِ بين المعنى اللغوي والاصطلاحي** نحو ما صنعَه في تعريفِ التورية حيث قالَ: والمناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للتورية ظاهرة؛ لأن المعنى القريب غير المراد يسترُ البعيدَ ويخفيه[٢].

ومما يسفرُ عن تتبعِه لورود المصطلحِ في أسفارِ العلماء إشارته إلى **المصطلحاتِ المتعددةِ** التي تتوارد على حدٍ معينٍ كإطلاقِ "**رد الأعجاز على الصدور**" عند المتقدمين على الألفاظِ المتقدمةِ الممهدةِ للفاصلة[٣]، بينما أسماها المتأخرون "**التصدير**"[٤]، وكذا جاءَ تعريفُ "**الاحتباك**" عند السيوطي بقولِه: "أن يحذفَ من الأولِ لدلالة الثاني عليه، ومن الثاني ما ثبتَ نظيره في الأول"[٥]، بينما أسماه الزركشي "**الحذف المقابلي**"[٦].

وقد جاء في مواضع قليلة ذِكرُ المصطلحِ دون تحريره إما لظهوره، وإما لانصراف همته إلى الجانب التطبيقي ببيان أثره في بناء النظم[٧].

ويسير الشيخُ وفق ما استقرَ عند أغلبِ علماء الأمةِ حيث البدء بذكرِ التعريفِ، ثم التعقيب المنطقي بذكرِ التقسيماتِ، وهو منهجٌ مطردٌ متبعٌ.

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/٤٢١.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/٤٢١.

(٣) ينظر: البديع ،ابن المعتز ٣٠،دار الجيل ط١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٤) ينظر: معترك الأقران ١/ ٣٨.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٠٤.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/ ١٢٩.

(٧) ينظر: خصائص التعبير ٢/٤٦٦.

ويتجاذبُ الشيخَ في عرضِ التقسيمات **مسلكان: أحدُهما:** تقسيمٌ كلي يُعد أم الباب المتحدث عنه، ومنبعُه الأصيل كالتقسيماتِ القائم عليها بناء الفصل الثالث: "**خصائص النظم القرآني**"، حيث تفرعَ إلى قسمين رئيسين قسم عُني بإماطةِ اللثامِ عن الخصائصِ اللفظية، والآخر عُني بتسليطِ الضوءِ على الخصائصِ المعنوية، منبثقًا عن كل قسم أقسام فرعية(١).

ويسلكُ هذا الدرب عند تقسيمِ المحسناتِ البديعيةِ، حيث كان عمادُه قسمين: أحدهُما المحسنات المعنوية، والآخر: المحسنات اللفظية(٢).

المسلكُ الآخر: يتمثلُ في التقسيماتِ الفرعية حسب ما يقتضيه الهدفُ المحددُ، والغايةُ المنشودةُ، فتارةً يكون الباعثُ التقسيمَ المنطقي الذي تستوجبه الشواهد الواردة كتقسيماتِ الطباق إلى طباق سلب، وطباق إيجاب، وطباق ترديد(٣)، وغيرِ ذلك.

وتارة يكونُ باعثُ التقسيمِ الغرض المسوق له النظم، وقد انتهج الشيخُ ذلك عند تقسيمِ التشبيهاتِ الواردة في شأنِ أحوالِ المؤمنين، حيث لم يكن مردها تنوع طرائق بناءِ التشبيه، وإنما جاءت على وَفق غرضين رئيسين هما:

١_ الترغيبُ: سواء أكان في عقيدةٍ أو سلوكٍ، أو حسن مصير.

٢_ الترهيبُ: سواء أكان في عقيدةٍ، أو سلوكٍ، أو سوء مصير(٤).

وقد أبت نفسُ الشيخِ أن يكتفي بما استقرَّ عند السابقين من تقسيمات، حيث كان شديدَ الحرص على الإدلاءِ بدلوه تدفعه رغبة ملحة إلى تركِ بصمته، **والإتيانِ بجديد** كصنيعِه عند ذكرِ أقسامِ الفواصل القرآنية إلى فواصل الآي القصار،

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/(١٩٠: ١٩١).

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/(٤١١: ٤٧٧).

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/(٤١٣: ٤١٦).

(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/(٢٠٥: ٢٠٦).

وفواصل الآي الطوال[١]، متجاوزًا ما ذَكرَه ابن أبي الإصبع من أقسامِ فواصل القرآن: " التمكين، والتصدير، والتوشيع، والإيغال"[٢].

وقد انتهجَ الشيخُ **مسلكين** عند عرضِ تقسيماتِه الأصيلة والفرعية **أحدُهما:** بُني على الإجمال والتفصيل بذكرِ الأقسامِ مجملة، ثم تفصيلها بذكرِ تعريفِ كل قسم أو ما يتعلقُ به[٣]، **والآخر:** خلاف ما سبق بسرد تلك التقسيمات واحدًا تلو الآخر[٤].

(١) ينظر: من البحث ص (١٠٩٤: ١٠٩٥).

(٢) ينظر: خصائص التعبير ١/(٢٣٣: ٢٣٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق ٢/(٤٢١: ٤٢٢).

(٤) المرجع السابق ٢/(٤٣٦: ٤٣٩).

المبحـــــث الثامـــــن

الاستطـــــراد

كان الشيخُ ﷺ ممتلكًا ناصية التصرفِ في فنونِ القولِ، ذا وعي دقيقٍ بخبايا النفوس؛ ومن ثمَّ تمكَّنَ من تطويعِ اللغةِ لخدمةِ ما يرمي إليه؛ فاطَّردَ في عرضِ ما يتناوله سلوك مسلك الاستطراد(١)، ذاك النهجُ المعتمدُ في الأدبِ العربي قديمًا وحديثًا شعرًا ونثرًا، وقد رام الشيخُ فوق دفع السآمةِ والملِ عن المتلقي، وبعثه على النشاط والتفكيرِ عدة مقاصد من أهمها ما يلي:

يرد **الاستطرادُ** في بعضِ المواضع لبيانِ أنَّ ما ذهبَ إليه الشيخُ منهجٌ عامٌ متبعٌ في النظمِ المعجز، يشهدُ لذلك الاستطرادُ الواردُ بين طرفي الحديثِ عن التشبيهاتِ الواردةِ في شأنِ مآلِ أهلِ النار، وطعامِهم، وشرابِهم، حيث ابتدأَ بالإشارةِ إلى سوءِ مطعمِهم في قوله: ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾ سورة الدخان الآيات (٤٣: ٤٦)، مشبهًا طعام الأثيم بالمُهلِ، ثم وصفَه بقولِه:" يغلي في البطون"، ثم شبَّه غليه بـ "غلي الحميم"، والحَمِيم: الماءُ الحارُ شديدُ الحرارة(٢)، وبعد ذلك استطرد الشيخُ إلى ذكرِ بعضِ مواضع ورود لفظ الحَميمِ في شأنِ أهل النارِ كقولِه تعالى: ﴿**وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا**﴾ سورة محمد الآية (١٥)، وقولِه: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ**﴾ سورة يونس الآية (٤)، وقوله: ﴿**هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ**﴾ سورة ص الآية (٥٧)، ثم يعودُ إلى حديثِه عن التشبيهاتِ الواردةِ في بيانِ

---

(١) سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر، وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض، حيث جعل الأول سببًا إليه، ينظر: كتاب الصناعتين ٣٩٨، وكتاب التعريفات، الجرجاني، ٢٠، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت صفوان عدنان، ٢٥٤ ، دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

سوءِ مشربِهم المتمثل في قولِه: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ سورة الكهف الآية (٢٩)[١].

وفي مواضع أخرى يرد **الاستطرادُ لتقوية** ما يذهبُ إليه الشيخُ، وقد بدا ذلك عند حديثِه عن القيمةِ البيانيةِ للتكرارِ المكتنفِ قصة "**عاد**" في سورةِ "**القمر**"، حيث افتتحت بقولِه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ سورة القمر الآية (١٨)، وخُتمت بقولِه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ سورة القمر الآية (٢١)، مرجعًا ذلك إلى طبيعةِ ما أُهلكوا به "**الريح**"، حيث يدعو الأمرُ إلى التأملِ والتفكر؛ لبعدِ تصورِ ذلك، ثم استطردَ بذكرِ ما يقررُ مذهبه قائلًا: ولعل مما يقوي رأينا هذا، أن قصةَ "**عاد**" وردت في موضعٍ آخرٍ من القرآن يتفقُ مع هذا الموضعِ من حيث الفكرة، ويختلفُ معه قليلًا من حيث طريقةِ العرضِ وزيادة التفصيلِ، وهو قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ سورة الحاقة الآيات (٦: ٨)، ونلحظُ أنَّ النظمَ في موضعِ "**القمر**" يُشير إلى المراحلِ الأولى للهلاك بدليل التعبير بقوله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ سورة القمر الآية (٢٠)، الذي يبرز الريح وكأنها عدوٌ قاصم، وهم يحاولون الثباتَ بشتى الوسائل دون فائدة، بينما يُشير النظمُ في موضعِ "الحاقة" إلى المراحلِ الأخيرة للهلاك، بدليل التعبير بقوله: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، ثم أخذَ يستعرضُ بعضَ المواضع الأخرى الواردة في سور: "**فصلت**[٢]، **والذاريات**[٣]، **والفجر**"[٤]، قاصدًا

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/ ٢٣٣.
(٢) سورة فصلت الآيتان (١٥: ١٦).
(٣) سورة الذاريات الآيتان (٤١: ٤٢).
(٤) سورة الفجر الآيات (٦: ٨).

من وراءِ ذلك بيان شدة ما نزل بهم مع ما هم فيه من توفرِ أسباب التمكينِ وقوة البطشِ تهكمًا بهم، ثم يعودُ الشيخُ بعد ذلك إلى استكمالِ صورِ التكرارِ الواردةِ عَقِب ذلك في السورة(١).

وتارةً تكون الغايةُ من الاستطرادِ متمثلةً في **الجمعِ بين النظائرِ**، وقد جاءَ ذلك عند توجيه ترتيب ألوانِ العذابِ التي نزلت بفرعون وقومِه في قولِه: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ**﴾ سورة الأعراف الآية (١٣٣)، وَفق قانون قطعِ النظيرِ عن النظيرِ، مستطردًا بتشفيعِ ذلك بمثالٍ مناظرٍ خرَّجَه وَفق هذا القانون، وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى**﴾ سورة طه الآيتان(١١٨: ١١٩)، حيث قطعَ الظمأَ عن الجوعِ وهما نظيران، والضحاء عن العري وهما نظيران، ثم عادَ فذكرَ قائلًا: وفي آيتنا هذه قطعٌ للنظيرِ عن النظيرِ، فقد ذكرَ الطوفان أولًا، وكان الظاهرُ يقتضي أن يذكرَ بعده الضفادع؛ لأنها تعيشُ غالبًا في الماءِ، ويكثرُ وجودُها فيه، ثم الدم؛ لأنَّه كان يظهرُ حسب ما اقتضته حكمةُ اللهِ في الماءِ، لكنه خالف هذا الظاهر؛ لئلَّا يتوهم متوهم تقليلَ الآيات بحسبان الطوفان، والضفادع، والدم كالآية الواحدة، ففصلَ بينها لهذا الغرض(٢).

ويسلكُ الشيخُ مسلكًا طريفًا غايته **الجمع بين المتقابلين**، حيث جاءَ الاستطرادُ في ثنايا حديث الشيخِ عن منهجِ النظمِ المعجزِ في الاستعمالِ المجازي لبعضِ الألفاظِ والتراكيب لنصٍ في سورةِ "البقرة"، وهو قوله تعالي: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ... إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ سورة البقرة الآيات (٦: ٢٠)، متتبعًا تلك المواضع حتى بلوغ لفظ "**ختم**" مبرزًا وجه الاستعمالِ المجازي فيه

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٣٢٦: ٣٢٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/ ٣٨٤.

المتمثل في الدلالةِ على فسادِ القلوب، مستنتجًا أنَّ المادةَ إذا كانت اسمًا التزمت مقامَ الذم، ثم يستطرد الشيخُ إلى ذكرِ منهجِ النظمِ العالي في استعمالِ لفظ مقابل وهو "**ربط**"، حيث التزمَ مادة "**ربط**" للدلالةِ على صيانةِ القلوبِ من الفسادِ، مستعرضًا مواضع ورودها اسمًا أو فعلًا كقولِه: ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ سورة القصص الآية(١٠)، ثم يعودُ الشيخُ لاستكمالِ تتبعِ صورِ المجازِ في نصِ سورة "البقرة"[(١)].

ويتخذُ الشيخُ الاستطرادَ في بعضِ المواضع **أداةً للإيضاح**، يشهدُ لذلك صنيعُه عند عرضِ التشبيهاتِ الواردةِ في مقامِ الترغيبِ، موردًا الصورة الأولى "مضاعفة الأعمال" في قولِه: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ سورة البقرة الآية (٢٦١)، موضحًا التشبيه والغرض منه، مستطردًا بعد ذلك إلى ذكرِ المقاييسِ التي تزكو بها أعمالُ البرِ، كشدةِ الحاجةِ عند المنفقِ لما بذل من مالٍ، كما في قولِه: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ سورة آل عمران الآية (٩٢)، أو شدة الحاجةِ عند المنفق عليه، كما في قولِه: ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾ سورة البلد الآيات (١٤: ١٦)، ثم استكملَ الشيخُ حديثَه عن التشبيهِ بتعضيدِ ما ذهبَ إليه بما قاله الزمخشري في شأنِه[(٢)].

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/ (٣٠٣: ٣٠٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/ (٢٣٥: ٢٣٦).

المبحث التاسع

التوسعُ في عرضِ القضايا

تمتعَ الشيخُ ﷺ بسعةِ اطلاع، ونظرٍ ثاقبٍ، وفقهٍ جيدٍ لكلامِ العلماء، تدفعُه رغبةٌ ملحةٌ إلى استجلاءِ ما يمتازُ وينفردُ به النظمُ المعجزُ، واستكناه دقائقِه وأسرارِه؛ ومن ثمَّ كان يعمدُ إلى التوسعِ في تناولِ القضايا التي يعرضُ لها حتى تتبدى في صورةٍ متكاملةِ الأركان، محررًا مصطلحاتها، مستعرضًا آراء العلماء تأييدًا ومخالفةً، متسلحًا بنظرتِه النقدية، وملكتِه الإبداعية، مضيفًا قدر ما فتحَ اللهُ به عليه، مفسحًا المجال للمخاطبِ مانحًا إياه فرصةَ التفكيرِ والتدبرِ والاختيارِ.

وقد **تعددت القضايا** التي خطتها أناملُه في هذا السِفرِ المباركِ نحو: فواتح السور القرآنية، والفواصل القرآنية، والنغم القرآني، والحذف في القرآن، والتقديم في القرآن، والتكرار في القرآن، وغير ذلك.

وسأفرد _بحولِ اللهِ وقوتِه_ بالتفصيلِ لقضيتين كشفتا عن عمقِ فقهه، وحرصِه الشديد على سبرِ أغوارهما، ومنهجِه المتميّزِ في المعالجة.

منهجُ الشيخِ في تناولِ قضيةِ الفواصل القرآنية.

تناولَ الشيخُ قضيةَ الفواصلِ القرآنيةِ بأسلوبٍ أخَّاذٍ جمع بين الإقناعِ والإمتاعِ وَفق منهجٍ موضوعي قويمٍ، يدفعُ عن النفسِ السآمةَ والملَلَ، متدرجًا تدرجًا منطقيًا مفتتحًا كلامه بتحريرِ مصطلحِ الفاصلة عند العلماء، مبرزًا ما بين التعريفاتِ من فروقٍ دقيقةٍ، وما انتابَ بعضها من أوجهِ القصورِ نحو ما جاء في تعريفِ **الداني** للفاصلةِ "هي كلمة آخر الجملة"[(١)]؛ لأنَّه يشملُ الجملة على اختلافِ مواضعها سواء أكانت في أولِ الآية أم وسطِها أم آخرِها، فهو غير مانع؛ إذ تدخل فيه الفاصلةُ اللغوية مع الفاصلةِ الاصطلاحية، وهذا عيبٌ في التعريف، وهو خلاف المصطلح.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٥٣.

ولما كانت تلك التسمية من خصائصِ النظمِ المعجزِ، حيث أطلقَ العلماءُ على التشاكلِ الواقعِ بين الحروفِ في آخرِ الكلام البشري مصطلح "**السجع**" أسلمه ذلك إلى بسطِ آراءِ العلماء حول ورودِ السجعِ في القرآنِ الكريمِ منقسمين إزاء ذلك إلى طائفتين: **إحدَاهما** تُجيز وروده، **والأخرى** تمنعه، عارضًا أدلة كل طائفة، وحجج كل مذهب، متتبعًا أقوال أئمتهم، وردود بعضِهم على بعض، بالغًا به الأمر حد الإشارةِ إلى منهجِ أحدهم في دحضِ حججِ الفريقِ الآخر كصنيعِ **ابن سنان الخفاجي** في معالجةِ شبه المانعين القائمِ على ردِ شبههم، وإثباتِ جديد من الأدلة ليس في وسعِ منصفٍ إنكارها، معقِّبًا بمحاولةٍ تقريبيةٍ بين المذهبين تكشف عن كونِ الخلاف بينهما ظاهريًا.

وبعد أن تقررَ الأمرُ أتبعَ ذلك بلفتِ الانتباه إلى وظائف الفاصلةِ اللفظيةِ والمعنويةِ، مضيفًا إلى ذلك **أقسامًا جديدة**، متكئًا على الشواهد التي استقر عليها السابقون مدليًا بدلوه في التحليلِ والتوجيهِ سالكًا مسلكَ الترقي في عرضِ تلك الشواهد مبتدئًا بالأكثرِ وضوحًا مترقيًا إلى ما يحتاجُ إلى فضلِ تأمل، وإعمالِ فكر(١).

ثانيًا: منهجُ الشيخِ في تناولِ قضيةِ التقديمِ في القرآنِ الكريم.

يسلكُ الشيخُ في عرضِ قضيةِ التقديمِ القرآني مسلكًا مغايرًا لسابقه منبئًا عن الترقي في فقهِ كلام العلماء ومرادِهم، وطرائق البيانِ المتنوعةِ مبتدئًا بالحديثِ عن التقديمِ المصطلح عليه المراعى في البناءِ الواحد، معتمدًا في عرضِه على دراسةِ عدة مناهج عُنيت بمعالجةِ تلك القضية، وتميزت بوضعِ أطرٍ عامةٍ ومعالم محددةٍ، وتهدفُ إلى تحقيقِ غايةٍ معينةٍ، وهي:

١_ منهجُ البلاغيين ابتداءً من عبد القاهر الجرجاني حتى الخطيب القزويني

٢_ منهجُ شمس الدين بن الصائغ الحنفي

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/ (٢١٨: ٢٤٤).

٣_ منهجُ ضياء الدين بن الأثير ٤_ منهجُ المفسرين ممثلًا في الإمام الزمخشري والعلامة أبي السعود، حيث وضع الشيخ نُصبَ عينيه إيضاح تلك الأطر والمعالم التي ارتكزَ عليها كل منهج وفق ما جاءَ في مؤلفاتِهم، وبيان طرائِقهم في التناولِ على وجهٍ مفصل بذكرِ الرؤية مشفعة بالشاهدِ والتحليلِ والتوجيهِ والنقدِ، مشيرًا إلى جهودِ الأئمةِ الذين لهم فضلُ السبقِ، ومظاهرِ التأثيرِ والتأثرِ، موازنًا بين تلك المناهج، واضعًا إياها في ميزانِ النقدِ، مسلطًا الضوء على مواطنِ التميزِ والقصورِ، خاتمًا عرضه بمحاولةِ التقريبِ بين تلك المناهج، وبيان وجهِ تكاملها.

ثم ثنَّى الشيخُ بالحديثِ المفصلِ عن التقديمِ غيرِ الاصطلاحي، أو اختلافِ النظمِ في العباراتِ ذات المعنى الواحد، متتبعًا عشرين موضعًا، قارنًا إياها بالتحليلِ والتوجيهِ متكئًا في الكثيرِ على جهودِ السابقين لاسيما **الخطيب الإسكافي** صاحب "**درة التنزيل وغرة التأويل**"، حيث تعرضَ لكثيرٍ من تلك المواضع بالتحليلِ والتوجيهِ، وقد عمدَ الشيخُ إلى قرنِ توجيهاتِه إزاء توجيهات الخطيب مميطًا اللثام عن منبعِ كل توجيهٍ وأثرِه، ومظاهرِ التلاقي والاختلاف[١].

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/(٧٩: ٢٠١).

المبحث العاشر
إضافاتُ الشيخِ وفرائدُه

كان الشيخُ _ رضي اللهُ عنه وأحسنَ إليه_ أمةً من علماءِ المسلمين في العصرِ الحديثِ، الذين اتسموا بسعةِ الاطلاع، ونَصبوا أنفسَهم مدافعين عن لغةِ القرآن والإسلامِ، فضلًا عن امتلاكِهم الأدوات التي تعينهم على الفقهِ الجيدِ للنظمِ المعجزِ؛ فتمكَّنَ من الغوصِ في أعماقِ النصِ يحاولُ جاهدًا استجلاء مكنونه؛ ومن ثم **فُرِق** له في كثيرٍ من المسائل، فتناثرَ في سِفرِه المبارك إضافاتٌ جديدةٌ، وفرائدُ ثرية.

وقد بدا ذلك جليًا فيما سطَّرته أناملُه، وجادت به قريحتُه **تأصيلًا وتطبيقًا**، وشاهدُ صدق على ذلك ما تميَّزَ به من توسعٍ، وفقهٍ جيدٍ في دراسةِ ومعالجةِ ما أسماه منهجَ الالتزامِ في القرآنِ _الذي تناثرت الإشارةُ إلى بعضِ مظاهرِه في مؤلفاتِ السابقين_، جامعًا النظير إلى نظيرِه، مستوفيًا أطراف الفكرةِ على اختلافِ صورِها بنيةً ومادةً وتركيبًا[1].

ومما يُحمدُ للشيخِ **عدمُ الاكتفاءِ بما ذكرَه السابقون** من ضوابطَ وأصول، حيث كانت تدفعه رغبةٌ ملحةٌ إلى الإسهامِ، فكانَ حريصًا على أن يضعَ بصمتَه، ويدلو بدلوِه، متجاوزًا تقسيمات السابقين للفاصلةِ القرآنية برؤيةٍ جديدةٍ منبئةٍ عن عقلٍ يقظٍ متميزٍ عمادها التفرقة بين فواصلِ الآيات القصار، وفواصلِ الآيات الطوال حسب الوشائج التركيبية، حيث ذهبَ إلى أن الفاصلةَ القرآنيةَ في الآياتِ الطويلة_ سواء أكانت في السورِ الطوالِ أم القصارِ أم المتوسطةِ الطول والقصر_ تأخذُ سِمةَ الاستقلالِ بمعنى أنها تأتي بعد تمامِ معنى أو معان رئيسة في الآية، فتكون هي بمثابةِ تعليق عليها، وتؤدي حينئذ وظيفةَ التعليلِ أو الإنكارِ، أو التوكيدِ، أو الترغيبِ، أو زيادةِ الإيضاحِ، وهي غالبًا ما تكون في هذا النوع جملة مستوفية

(١) ينظر: من البحث ص (١٠٢٦: ١٠٢٨).

الأركان، ويغلبُ عليها أن تكونَ اسمية، نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء الآية (٢٤)، حيث جاءت الفاصلة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مستقلة متناسبة مع ما قبلها؛ لأنها أعقبت تشريعًا خالصًا(١)، وهذا يقتضي العلم بالدقائق، والحكمة التي تستلزم وضع الشيء في موضعه.

أما الشأنُ في الآياتِ القصيرةِ سواء أكانت في السورِ الطوالِ أم القصارِ أم المتوسطةِ الطول والقصر، فتكون كلمة مكملة لمعنى الآية التي هي فيها معمولة من حيث الحكمِ النحوي لعاملٍ فيها، وليس لها سمةُ الاستقلالِ؛ لأنها ليست جملة، وقد تكونُ جملة قصيرة خاطفة فعلية أُضمر فيها فاعلُها، ويغلبُ مجيء هذه الفواصل في السورِ القصارِ مما يسمونه "قصار المفصل" وما قارب ذلك، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ سورة الواقعة الآيات (١: ٣)، حيثُ جاءت دلالةُ الفاصلة جزءًا من المعنى الأصلي للآية، ومكملةً له، خاضعة في الحكمِ النحوي لعاملٍ في الآية(٢)، كالفاعل في الآية الأولى، واسم ليس في الثانية.

وقمنٌ بالذكرِ أن إبرازَ وجهِ التعالقِ المعنوي بين الفاصلةِ ونظمِ الآية كأن ترد تعليلًا، أو توكيدًا، أو غير ذلك قد تناثر في كتبِ التفسيرِ وعلومِ القرآن لكن وَفق نظرةٍ جزئيةٍ مناطها موضع الشاهد(٣).

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ١/٢٣٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١/(٢٣٨: ٢٣٩).

(٣) ينظر: نظم الدرر ١/ ١٤٣.

ومما يُمتدحُ للشيخِ **ولعه الشديد بالتتبعِ للألفاظِ وطرائقِ البناءِ**، فضلًا عن الأقوالِ والمذاهبِ المخالفة_ وإن كانت على سبيلِ الفرضِ والتقديرِ_ وفق منظور كلي، ومن جانب آخر تجلت عنايتُه البالغة بعقدِ **الموازنات** بين مواضعِ النظمِ العالي تارةً، وبين النظمِ القرآني والنظمِ البشري تارةً أخرى؛ لإجلاءِ المفارقة بينهما.

كما بدا أثرُه في مقامِ **الاستشهادِ** بذكرِ نماذجَ لم يذكرها السابقون، نحو صنيعُه عندَ الاستشهادِ على حذفِ بعضِ أحرفِ الكلمةِ عند صاحبِ كتابِ "**الإتقان في علوم القرآن**" قائلًا: على أنَّ في القرآنِ أمثلةٌ أخرى لم يذكرها **السيوطي**، وأكثرُ ما يكونُ ذلكَ في أسماءِ المصادرِ مِثلَ قولهِ تعالى:﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ سورة نوح الآية (١٧)، والأصلُ "**إنباتًا**"[(١)]، **وقولِه:** "فيما مضى قدرٌ كافٍ مما ذكرَه العلماءُ في هذا الموضوعِ، فلندل بدلونا فيه بأمثلةٍ غيرِ التي تقدمت لهم"[(٢)].

وكذا **قوله:** "وقد تحدثَ **ابن هشام** في المغني عن حذفِ الحالِ، والتمييزِ، وذكرَ بعضَ مواضع حذفِ الحال، ولكنه لم يمثل لحذفِ التمييزِ في القرآنِ مع أنَّ في القرآنِ مواضع جاءَ فيها التمييزُ محذوفًا، فمن أمثلةِ حذفِ **التمييزِ** في القرآن قوله تعالى: ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ﴾ سورة الكهف الآية (١٩) [(٣)].

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٢٣، وخصائص التعبير ٢/ ٧١.

(٢) خصائص التعبير ١/ ٤٠٧.

(٣) بالرجوع إلى كتاب مغني اللبيب نجد أن ابن هشام ذكر شاهدين من القرآن تحت حذف التمييز وهما قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾سورة المدثر الآية (٣٠)، وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ سورة الأنفال الآية (٦٥)، ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ت د/ مازن مبارك ، محمد علي حمد الله ٨٣١ دار الفكر دمشق، ط ٦ ١٩٨٥م.

=

وقد اتسعَ أفقُ الشيخِ، فصالَ وجالَ في ميدانِ **التحليلِ والتوجيهِ والنقدِ** مفتقًا الأكمام، مستخرجًا الدرر؛ ولذا اطَّردت تصريحاتُه المتعددةُ نحو قولِه: "لم أجد أحدًا قد نص عليه"(١)، **وقولِه:** "ولم أره لأحد"(٢)، **وقولِه:** "ولم أر توجيهًا لأحد في هذا"(٣)، **وقولِه:** "وبقي معنى دقيق لم أر من تنبه له"(٤).

كما تروقك إضافاته في مقامِ **الاستدراكِ**، وهو نهجٌ مطَّردٌ، ويتجلى ذلك في تعقيبِه على توجيهِ الزمخشري لحذفِ الواو وذكرِها في قولِه تعالى: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ**﴾ سورة الحجر الآية (٤)، **وقولِه**: ﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ** ﴾ سورة الشعراء الآية (٢٠٨)، حيث ذهبَ الزمخشري إلى أن هذه الواو ذُكرت في آية "الحجر" لتفيدَ لصوق الصفة بالموصوف(٥)، فقالَ الشيخُ **معقِّبًا:** وكلامُ الزمخشري على ما فيه من قربٍ إلى الصواب، حيثُ حلَّلَ الفكرةَ تحليلًا مباشرًا، ولم يُنزلها على تخريجٍ عامٍ لا يقنع الباحث؛ لأنه يرد عليه سؤالٌ مؤداه: لماذا رجَّحَ لصوق الصفة بالموصوفِ في الآيةِ الأولى دونَ الثانية؟، ثم أجابَ مضيفًا قائلًا: والذي أراه في توجيهِ المسألةِ بعد موافقةِ الزمخشري أن المقامَ في الأولى يقتضي التوكيدَ بخلافِ الثانية(٦).

=

(١) خصائص التعبير ٢/ ٧٦.

(٢) المرجع السابق ١/ ٤٧٩.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٨.

(٤) المرجع السابق ٢/ ٢٦٨.

(٥) ينظر: الكشاف ٢/ ٥٧٠.

(٦) ينظر: خصائص التعبير ٢/ (١٦: ١٧).

المبحث الحادي عشر

منهج الشيخ في اعتماد الإجمال والتفصيل

سلكَ الشيخُ في عرضِ ما تناولَه في سِفرِه مسالك متعددة، من أبرزِها مسلكُ الإجمالِ والتفصيل؛ لاستدعائه قوى الإدراكِ الذهنيةِ والنفسيةِ عند المخاطبِ؛ ومن ثم فهو يجمعُ بين الإقناعِ والإمتاعِ، ومن جانبٍ آخر يُنبئ ذلك عن وضوحِ الأمرِ في ذهنِه بدقائقِه وتفاصيلِه، ويعمدُ إليه الشيخُ عند قصدِ **تقريرِ ما يعرضه**؛ لأهميتِه وطرافتِه، فضلًا عن رومِ **التشويق، أو الإيضاح، أو التفخيم، أو التقرير**، وقد تبدَّى ذلك عند عرضِ **التقسيمات** التي تُعد جذرَ البابِ، وعليها معقدُ البيان، كصورِ التشبيهِ القرآني[١]، وأنواعِ المحذوفِ في النظمِ المعجز[٢].

أو **آراء العلماء المتباينة** حول قضيةٍ كانت ولا زالت مثارَ اهتمامِهم، ومبعثَ إبداعِ قرائحِهم، كقضيةِ ورودِ السجعِ في القرآن[٣]، أو قضيةٍ تتسمُ بالطرافةِ والجدةِ؛ ومن ثم تكون جديرةً بإثارةِ أذهانِهم، وشحذِ هممِهم، نحو ما أشار إليه من منهجِ الالتزامِ في القرآن[٤]، أو عند عرضِ دعوى لابد لها من دليلٍ، وإيضاح[٥]؛ ومن ثم تكثرُ إشاراته الصريحة نحو قولِه: "وهذا إجمالٌ لابد له من تفصيل..." [٦]، وقوله: "هذا إجمالٌ لابد له من تفصيلٍ، ودعوى لابد لهَا من دليل"[٧].

وقد جاءَ اقترانُ الإجمالِ والتفصيلِ على صورتين:

---

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/ (٢٠٥: ٢٠٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢١٩.

(٤)ينظر: المرجع السابق ١/ (٢٧٨: ٢٧٩).

(٥) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٣٨.

(٦) المرجع السابق ١/ ٢٧٩.

(٧) المرجع السابق ١/ ٢٣٨.

الصورةُ الأولى: تقدمُ الإجمالِ على التفصيلِ، وهو نهجٌ مطَّردٌ، حيث يبدأُ بذكرِ إشارات مجملة مكتنزةِ المعالم والأطر، ثم يشرعُ في إيضاحِ دقائقِها وتفصيلاتِها وقسماتِها؛ ليقف المخاطبُ على المعالمِ الرئيسةِ ابتداء؛ فيغمره الشوقُ إلى تلقي التفصيل باليقظةِ والقبولِ.

الصورةُ الثانية: تقدمُ التفصيلِ على الإجمالِ، ويعمدُ الشيخُ إلى ذلك عندما يضعُ نُصبَ عينيه تقريرَ الأمرِ وترسيخَه.

ويسري نسقُ التفصيلِ وفق ما وردَ في الإجمالِ ترتيبًا واتساقًا، **ولم يشذ** عن ذلك إلا عند عرضِ صورِ حذفِ الكلمة، حيث أجملَ منها الصورَ الآتية:

١_ حذف الفعل ٢_ حذف الفاعل ٣_ حذف المبتدأ ٤_ حذف الخبر ٥_ حذف الموصوف ٦_ حذف الصفة ٧_ حذف المضاف ٨_ حذف المضاف إليه.

وقد جاءَ التفصيلُ على نحو تجاوزَ حد ما أجمل بذكرِ حذفِ الحالِ، والتمييزِ، والمفعولِ به على وجه مفصل[(١)].

(١) ينظر: خصائص التعبير ٢/(٢١: ٦٠).

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِه تتمُ الصالحات، والصلاةُ والسلامُ على منبعِ الخيرِ والبركاتِ سيدنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ ومن اهتدى بهديِه إلى يومِ الدينِ، ثم أما بعد

فبعد هذه الرحلةِ الماتعةِ في رحابِ دراسة قرآنية بلاغية رائدة تجلى الكثيرُ من النتائج من أبرزِها:

١_ زخرَ السِفرُ المباركُ بالعديدِ من السماتِ الجليةِ التي كشفت عما كان يتمتعُ به الشيخُ من مقدرةٍ لغويةٍ، وحسٍ مرهفٍ، وذكاءٍ وفطنةٍ ورويةٍ، وملكةٍ إبداعية ونقدية، ومن جانبٍ آخر اصطبغت تلك السمات بالتنوعِ والتدرجِ، فتجدُ منها: اعتماد النظرة الكلية، وتجلي النزعةِ النفسية، والعناية بتحريكِ عقلِ المخاطبِ، والاستطراد، والتوسع في عرضِ القضايا، والدقة والوضوح.

٢_ اختطَّ الشيخُ في الاستشهادِ طريقًا متعددَ الاتجاهاتِ متنوعَ المعالم، حيث عمَد إلى استقصاءِ الشواهدِ عند رومِ ضبط قاعدةٍ كليةٍ، أو الإشارة إلى لفتةٍ بلاغيةٍ عمادُها التتبعُ والتدبرُ، أو تصويب خطأ، أو دفع توهم، وتارةً اتكأ على ذكرِ بعضِ الشواهد التي يستضيء بها عندما لا يكون للحصرِ سبيلٌ، وكانت على وتيرةٍ واحدةٍ، أو قصدِ التنوعِ في الغايةِ المنشودةِ، وندرَ اعتماد الشاهد الفرد، وجاءَ ذلك فيما وجدَ فيه الشيخُ كفايةً وغناءً أيما غناء.

٣_ تجاذبَ الشيخَ في تحليلِه نظرتان: إحداهما نظرةٌ كليةٌ، والأخرى نظرةٌ جزئيةٌ، فتجدُه يمتطي النظرةَ الكليةَ سبيلًا لاستجلاءِ أواصرِ القربى بين أجزاءِ موطنِ الاستشهادِ، ابتداءً من حُسن المطلع والختامِ إلى تناسبِ الحروفِ والحركاتِ، وهو أمر مُطَّرد الورود، كما اتخذها مسلكًا عندَ رومِ تَتَبعِ فنٍ بلاغي بعينِه في بناءِ النظم، أو ما يحويه النظم من فنونٍ بلاغيةٍ متعددة، أو الإشارةِ إلى الطابعِ السائدِ المصطبغِ به بناءُ السورة، وعلى الصعيدِ المقابلِ يكونُ منطلقُ الشيخِ في التحليلِ النظرةَ الجزئيةَ التي تنصبُ على موطنِ الاستشهادِ فقط استجابةً لما يقتضيِه

المقامُ، وهو مسلكٌ قليلُ الورودِ إذا قُورنَ بسابقِه، ويَتجلى ذلك عندما يتعلقُ التحليلُ ببعضِ أجزاءِ النظمِ.

٤_ انتهجَ الشيخُ في التحليلِ نهجًا طريفًا مطردًا عمادُه الفرض والتقدير متخذًا ذلك سبيلًا لدفعِ توهم، أو تصويبِ خطأ، أو تقريرِ مقصدٍ، حيثُ يفترضُ الشبهةَ، ويتولى الردَ عليها ردًا مفحِمًا دليلًا على تمكنِه، وسعةِ أفقِه، ورغبتِه في معالجةِ المسألةِ من جميعِ جوانِبها؛ ليوصدَ البابَ أمامَ أدنى توهمٍ أو إنكار، وهو في ذلك متأثرٌ بسابقيه.

٥_سعى الشيخُ سعيًا حثيثًا إلى تحريكِ عقلِ المخاطبِ، واستنهاضِ همتِه وتوجيهِهِ، هذا من جانبٍ ومن جانبٍ آخر صقل ما يتمتعُ به من قدراتٍ ذهنيةٍ؛ ومن ثم حرصَ على جعلِه مشاركًا له مانحًا إياه فرصةَ التفكيرِ والإبداعِ، ويتجلى ذلك عند رومِ الضبطِ، أو التحليلِ، أو النقدِ، أو الاستنتاجِ متخذًا في سبيلِ تحقيقِ ذلك طرائقَ متعددة منها: كثرةُ محاورتِه، ودعوتِه إلى التأملِ والاستنباطِ فضلًا عن القياسِ والمقارنةِ والتقييمِ، وقمينٌ بالذكرِ أن للشيخِ مسلكًا دقيقًا في التعاملِ مع المخاطبِ مبنيًا على مراعاةِ الترقي استجابةً لتدرجِ مداركهِ في فقهِ المرادِ.

٦_ارتَّسمَ الشيخُ في تعاملِه مع كلامِ العلماء منهجًا متميزًا اعتمدَ فيه على تحري الدقةِ في النقلِ، والفقهِ الجيدِ لكلامِهم؛ ومن ثمَّ التعقيب بما يوضحُ، أو يستنطقُ، أو يردُ، أو يصححُ، أو يستدركُ، أو يقررُ مادحًا ومشيدًا ومثنيًا على من يوافقه، ملتزمًا التأدب مع المخالفِ، مع تجنبِ الوقوفِ موقف الناقلِ دون أن يضعَ بصمتَه ناقدًا وموازنًا ومرجحًا.

٧_ أبت نفسُ الشيخِ أن يكتفي بما جادَت به قرائحُ السابقين تأصيلًا وتطبيقًا، حيثُ كان شديدَ الحرصِ على الإدلاءِ بدلوه، تدفعُه رغبةٌ ملحةٌ إلى تركِ بصمتِه، والإتيانِ بجديد كصنيعِه عند ذكرِ أقسامِ الفواصلِ القرآنية إلى فواصلِ الآي القصارِ، وفواصل الآي الطوال، متجاوزًا ما ذكره ابن أبي الإصبع من أقسامِ

فواصلِ القرآنِ " التمكين، والتصدير، والتوشيع، والإيغال"، ومع ذلك كانت هناك بعضُ **الوقفاتِ** التي ألمحتْ إلى مجانبةِ الشيخِ التوفيق فيها.

٨_ اتخذَ الشيخُ الاستطرادَ أداةً لتحقيقِ غاياتٍ متعددةٍ منها: بيان أن ما ذهبَ إليه منهجٌ عامٌ متبعٌ في النظمِ المعجز، وفي مواضع أخرى يردُ الاستطرادُ لتقويةِ ما يذهبُ إليه الشيخُ، أو يتخذه سبيلًا للتوضيحِ، أو الجمع بين النظائرِ أو المتقابلات.

التوصيات:

وفي الختام تُوصي الدراسةُ بضرورةِ القراءةِ الواعية، والفقهِ الجيدِ لمؤلفاتِ العلماء الأثبات قديمًا وحديثًا؛ لاستكناه ما تحويه من درررٍ ولآلئ على المستويين النظري والتطبيقي، بتسليطِ الضوءِ على سماتِ مناهجهم، فضلًا عن الاحتذاءِ بمسلكهم في الكتابة، والموازنة بين المناهج المتعددة في تناول الفنون البلاغية والقضايا النقدية.

كما تُوصي الدراسةُ بمحاولةِ استجلاءِ سماتِ منهجِ الشيخِ المطعني في مؤلفاتِه التي تسيرُ في فلكِ اتجاهٍ معينٍ كالدراساتِ القرآنية، أو البلاغية، أو الإسلامية.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: المطبوعات:

القرآن الكريم جل من أنزله:

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت محمود شاكر، دار المدني بجدة، ط الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- أصول البحث الأدبي ومصادره، جامعة المدينة العالمية، ٢٠١١م.
- إعجاز القرآن، الباقلاني، ت السيد أحمد صقر، دار المعاف مصر، ط الخامسة ١٩٩٧م.
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ .١٩٨٥م .
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال بيروت ١٤٢٣هـ .
- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، ت محمادي عبد السلام الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط الأولى ١٤١٨هـ /١٩٩٦م.
- التفسير الكبير، الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠هـ.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت محمد خلف ومحمد زغلول، دار المعارف، ط الثالثة ١٣٧٩هـ.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت.

📖 خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

📖 درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، دار الأفاق الجديدة بيروت، ط الربعة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

📖 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط الثالثة ١٤١٣هـ /١٩٩٢م.

📖 ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميزت بدون.

📖 ديوان الشريف الرضي، المطبعة الأدبية بيروت ١٣٠٧هـ.

📖 ديوان النابغة الجعدي، جمع وتحقيق واضح الصمد، دار صادر بيروت، ط الأولى ١٩٩٨م.

📖 سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٢هـ_ ١٩٨٢م.

📖 سمات منهج الإمام عبد القاهر في دراسة التمثيل، محمود حسن مخلوف، دار البيان للطباعة والنشر١٤٢٨هـ.

📖 سمط اللآلي في شرح آمال القالي، أبو عبيد البكري، ت عبد العزيز الميمي، دار الكتب العلمية بيروت بدون.

📖 سنن ابن ماجة، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى الحلبي، بدون.

📖 شعر عمرو بن معديكرب، جمع مطاع الطرابيشي، ط الثانية ١٩٨٥م.

📖 صحيح البخاري، البخاري، ت محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ .

📖 عيار الشعر، ابن طباطبا، ت عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي القاهرة بدون.

📖 فن التشبيه (بلاغة .أدب. نقد)، علي الجندي ،مكتبة نهضة مصر، ط الأولى ١٩٥٢م.

📖 كتاب التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

📖 كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ت على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت ١٤١٩هـ.

📖 الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣ ١٤٠٧هـ.

📖 لسان العرب، ابن منظور، مادة دار صادر، بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ.

📖 مدخل إلى البحث البلاغي، إبراهيم الهدهد ، مكتبة وهبة، ط الأولى ٢٠١٨م.

📖 معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

📖 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة بدون.

📖معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

📖 مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ت د/ مازن مبارك ، محمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق ط ٦ ١٩٨٥م.

📖 المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت صفوان عدنان، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

📖 مناهج البحث الأدبي، يوسف خليف، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٧م.

📖 مناهج البحث البلاغي عند العرب دراسة في الأسس المعرفية، عماد محمد البخيتاوي، دار الكتب العلمية بدون

📖 مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط الثالثة ١٩٧٧م

📖 من بلاغة القرآن أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٥م.

📖 منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ت محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب تونس، ط الثالثة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

📖 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة بدون.

ثانياً: الدوريات:

📖 من جهود الشيخ ا.د/ عبد العظيم المطعني في التجديد البلاغي، محمد سعدي أحمد حسانين، بحث علمي منشور بمجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد السابع والثلاثون الجزء الأول ٢٠١٨م

📖 جهود الأستاذ الدكتور/ عبد العظيم في الكشف عن إعجاز القرآن من خلال كتابه "دراسات جديدة في إعجاز القرآن"، إبراهيم عطية إبراهيم عيسى، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد الرابع والثلاثون ٢٠٢١م.

ثالثاً: المجالس العلمية:

"منهج الشيخ محمد أمين الخضري في التعامل مع كلام العلماء"، للأستاذ الدكتور/ عبد الباقي علي يوسف، المجلس الإلكتروني الحادي والتسعون من مجالس قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود ٢٠/ ١٢/ ٢٠٢٢م.

فهرس الموضوعات

	الموضوع	
١	المقدمة	١٠١٤
٢	التمهيد	١٠١٨: ١٠٢٥
٣	المحور الأول: إضاءة على حد "المنهج، والسمات"، والمنهج المتبع في تأليف السِفر	١٠١٨
٤	المحور الثاني: إطلالة على الشيخ المطعني، ومؤَلَّفه.	١٠٢٢
٥	المبحث الأول: منهج الشيخ في الاستشهاد والتحليل والتعليل.	١٠٢٦
٦	المبحث الثاني: منهج الشيخ في التعامل مع كلام العلماء.	١٠٤٤
٧	المبحث الثالث: منهج الشيخ في اعتماد النظرة الكلية.	١٠٦٤
٨	المبحث الرابع: منهج الشيخ في العناية بتحريك عقل المخاطب.	١٠٦٩
٩	المبحث الخامس: منهج الشيخ في الاتكاء على النزعة النفسية.	١٠٧٣
١٠	المبحث السادس: منهج الشيخ في التزام الدقة والوضوح.	١٠٧٨
١١	المبحث السابع: اطراد التعريفات والتقسيمات.	١٠٨٣
١٢	المبحث الثامن: الاستطراد	١٠٨٧
١٣	المبحث التاسع: التوسع في عرض القضايا.	١٠٩١
١٤	المبحث العاشر: إضافات الشيخ المطعني وفرائده.	١٠٩٤
١٥	المبحث الحادي عشر: منهج الشيخ في اعتماد الإجمال والتفصيل.	١٠٩٨
١٦	الخاتمة	١١٠٠
١٧	ثبت المصادر والمراجع	١١٠٣

١٨	فهرس الموضوعات	١١٠٧